المملكة العربية السعودية

ابن شهيد الأندلسي وجهوده في النقد الأدبي

إعداد

عبد الله سالم المعطاني

٣٠١٠٢٠٠٠٠٠٠١١٩

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

من جامعة الملك عبد العزيز - كلية الشريعة والدراسات الاسلامية

بمكة المكرمة - قسم الدراسات العليا العربية (فرع الادب)

جامعة أم القرى بمكة المكرمة
UMM AL-QURA UNIVERSITY MAKKAH

إشراف

الدكتور عبد الحليم حسان عيسى

١١٩

١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م

بســــــــم الله الرحمن الرحـــــــيم

http://abbassa.wordpress.com تحميل كتب

" فهرس الموضوعات "

=======

++++

(مقدمـــــة)

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد وعلى آلـه وصحبه اجمعـين ومن دعا بدعوته الى يوم الدين .

لم يحظ التراث العربي في الاندلس بما يستحقـه من البحث والدراسـة فلا نعدو الحقيقه اذا قلنا ان هذا الجانب من ادبنا العربى لاقى من الاهمـال الشئ الكثير على الرغم انه تراث جدير بالبحث والابراز .

وارتباطى بالادب الاندلسى كان منذ دراستى المنهجية فى الجامعة فقد كانـت له مادة اساسيـة من مواد الدراسة ثم وجدت فى نفسى ميلا شديدا اليه لا سيمـا وان اساتذتنا الكرام كانوا يبثون فينا روح الاندفاع الى البحث فى هذا المجال .

فاستعنت بالله اولا ثم طفقت اتصفح الدراسات القديمة والحديثة التى كتبـت عن هذا الجانب من التراث كى انطلق من خلالها الى موضوع يستحق البحث والدراسـة فصادفنى قول جليل من مؤلف قدير وهو الاستاذ احمد ضيف فى كتابه " بلاغـة العرب فى الاندلس " (١) حينما تحدث عن ابن شهيد فقال : " ان واحدا مـن الادباء الذين تكلموا عن ابى عامر بن شهيد لم يذكروا له غير : شعره الرقيـق ، واسلوبه الرشيق ومجونه الكثير وادبه الوفير ... الخ .

ان ابن شهيد من افذاذ الادباء المفكرين الذين انجبتهم حركة العقول والادراك فى الاندلس . "

فكان هذا القول بمثابـة الشرارة التى اضاءت امامى الطريق الى البحث فأخـذت اقرأ قراءة جادة حول الموضوع كى اكون فكرة سليمة عنه فوجدت ان ابن شـهيد

---

(١) الاستاذ احمد ضيف ، بلاغة العرب فى الاندلس ، القاهرة ١٣٤٢ ص ٥٩

من النقاد الذين يستحقون الدراسة اضافة الى انه كان من الرواد الأوائل في بناء منهج نقدى واضح للادب الاندلسي .

ومن هذا المنطلق سرت في البحث مستعينا بالله في تقصي الحقائق واوجه الصواب.

وقد واجهتني بعض الصعوبات التي كانت ناتجة عما يلي :

١ـ شحة المصادر والمراجع في هذا الجانب وصعوبة الحصول عليها لأنه كما وضحنا سابقا في حكم المهمل ولكن على الرغم من ذلك بذلت ما في وسعى من جهد حتى احطت بجميع الكتب التي لها صلة بهذا الموضوع .

٢ـ التهم التي وجهت الى ابن شهيد قديما وحديثا اما لدافع شخصي كالحقد والحسد او لسوء فهم اقوال ابن شهيد مما دعاني الى التثبت والتروى وتحرى الحقيقة في نفي او اثبات تلك التهم .

٣ـ ارتياد ابن شهيد بعض القضايا النقدية الجديدة على النقد العربي والتي تحتاج الى مقارنة وادلة من الكتب القديمة والحديثة مما حدا بي الى القراءة الجادة في كتب النقد واستخلاص النتائج التي لها علاقة بذلك .

ولذلك فان هذا الموضوع جديد وجدير بالبحث والدراسه .

وقد مهدت له بحالة النقد الادبي في الاندلس قبل ابن شهيد فبينت انه لم يكن هناك نقد منهجي مبني على دراسة منظمة قبل ابن شهيد .

ثم قسمت البحث الى ثلاثة ابواب الأول منها ويضم فصلين اولهما يتكلم عن

ابن شهيد : نسبه ، حياته ، شيوخه ، آثاره ، مقومات شخصيته ، ثم علته ووفاته . والفصل الثاني يوضح مكانته العلمية في نظر النقاد القدماء والمحدثين وتعليقي على تلك الأقوال بما رأيته مناسبا .

اما الباب الثاني : فيتحدث عن نقد ابن شهيد لتلك القضايا التقليدية القديمة والتي ترددت في كتب النقد فقارنت اقواله باقوال من سبقه من النقاد موضحا ما وافقهم فيه وما لم يوافقهم . ويضم هذا الباب ثلاثة فصول الأول ويتناول الشعر في نقد ابن شهيد ، والثاني يتحدث عن الشاعر في نقد ابن شهيد ، اما الثالث فهو ثقافة الناقد الادبي .

الباب الثالث : وهو اهم الأبواب واكثرها دقة لأنه يتناول الجديد في نقد ابن شهيد ويحتوي على فصلين الأول منهما نظره السي القضية النقدية المعروفه نظرة جديدة تختلف عمن سبقه من النقاد . اما الفصل الثاني فيحتوي على قضايا كان لابن شهيد فضل الابداع فيها وارتيادها متميزا بذلك عن غيره من النقاد .

وأرجو من الله العلي القدير ان اكون قد وفقت في اخراج هذا البحث بصورة مقبولة تلقي الضوء على شخصية ابن شهيد ونقده وان اكون ممن تشرفوا بخدمة هذا التراث الجليل .

ولايسعنى اخيرا الا ان اشكر سعادة المشرف على الرسالة الدكتور/ عبد الحكيم حسان عمر شكر امتنان وعرفان لأنه وهبنى من وقته الشىء الكثير فارجو من الله جل وعلا ان ينال ثوابه منه انه سميع مجيب . وان يلهمنا الصواب فى جميع اعمالنا فهو على كل شىء قدير . ؟

عبد الله سالم المعطانى

مكه المكرمه

(تمهيـــــد)

النقد الأدبي في الاندلس قبل ابن شهيـــد

ان الفترة الحقيقيـة لنهضـة الادب في الاندلس تبتدئ ببدايـة الحكم الاموى اى فى عهـد عبدالرحمن الداخل سنة ١٣٨ هـ (٧٥٥م) وذلك ان كثيرا من انصـار الامويين لاذوابهم فى اقليم الاندلس اما رهبة من العباسيين الذين تسلمـوا الخلافـة فى المشرق أو رغبـة فى ملازمـة اشياعهم الأمويين . وكان اكثر هؤلاء الوافديـن على درجـة كبيرة من الثقافـة فأثروا فـى غيرهم مما ساعد على نشاط الحيـاة الثقافيـه والدفع بعجلتها الى الامام.

وهناك ناحيـة اخرى كان لها دورها الفعال فى الثقافـة الاندلسيـة وهى تلـك الوفود التى ذهبت لتلقى العلم فى المشرق او للحج او للزيارة ثم عاد أفرادهـا ينقلون ما لديهم من علوم ومعـارف الى سكان تلك الجزيرة ومن هذا يتبين لنـا ان الثقافـة العربيه فـى الاندلس كانت فى بدايتها تعتمد اعتمادا كليـا علـى المشرق ولم تستقـل الأندلس بشخصيتها الثقافيـة وخاصة فى مجال الادب الا بعـد زمن ليس بقصـير وهذا ما اثار اعجـاب الصاحب ابن عباد حينمـا قرأ كتاب " العقـد الفريد " لابن عبد ربه فقال : " هذه بضاعتنا ردت الينا "(١) . وقال ابـن بسـام(٢): " ان اهل هذا الأفق ابوا الا متابعة اهـل المشـرق ، يرجعون الـى اخبارهـم المعتادة ، رجوع الحديث الى قتادة ، حتى لو نعق بتلك الآفاق غراب أوطن بأقصـى الشام والعراق ذباب ، لجثوا على هذا صنما ، وتلوا ذلك كتابا محكمـا ."

---

(١) شوقى ضيف . ابن زيدون " دار المعارف بمصر ط ٣ " ص ١٢

(٢) ابن بسام ١/١ ص ٢ .

وقد حفظت لنا المصادر بعض القصائد التي تروى عن عبد الرحمن الداخل وخاصة في الحنين ومنها قصيدته المشهورة في مناجاة النخلة (١) ٠

ومن شعراء هذه الفترة ايضا ابو المخشي (٢) الذي سمل عينيه هشام بن عبد الرحمن الداخل وكان شاعرا مجيدا وكذلك الحكم بن هشام الذي عرف بالتحرر والميل الى اللهو مما اثار عليه سخط الفقهاء وكان اديبا بارعا اجاد في الشعر والنثر ٠ الى غير هؤلاء من الشعراء والكتاب الذين تحدثت عنهم مصادر الأدب في الأندلس٠

واذا كان الادب الاندلسي في بدايته قد اعتمد على ادب اهل المشرق فان النقد في اولياته قد أفاد كذلك من الاتجاهات النقدية التي كانت قائمة في المشرق٠

فمن الملاحظ ان النقد في العصر الاموي ازدهر في ثلاث بيئات هي الحجاز والعراق والشام ٠ وكان للحياة الاجتماعية والبيئة الطبيعية اثر ملموس في أدب هذه البيئات ونقدها ٠

ففي الحجاز كثرت المجالس الغنائيه والأدبية التي يلتقي فيها الشعراء و٠٠٠ المتأدبون مما ادى الى نشاط الحياة الأدبيه في ذلك الوقت ومن اشهر ناقدي هذه البيئه عبد الله بن ابي عتيق وسكينة بنت الحسين التي كانت تجمع الادباء

---

(١) انظر ابن عذارى المراكشي ٠" البيان المغرب " دار الثقافه بيروت تحقيق ج ٠س٠ كوون وليفي بروفنسال جـ ٢ صـ ٦٠
(٢) انظر ترجمته في ابن سعيد٠المغرب جـ ٢ ص ١٢٣

فى بيتها يسمعون الطرب ويخوضون فى المناقشات والمناظرات ، وقد روى عن ابن ابى عتيق بعض النقدات اللطيفه كقوله عن عمر بن ابى ربيعة (١) " ما عصى الله عز وجل بشعر اكثر مما عصى بشعر ابن ابى ربيعة • "

اما فى العراق فقد استعاد العرب ذكريات سوق عكاظ بسوقى المربد والكناسه التى كان يحضرها الناس للاستماع الى جرير والفرزدق والأخطل الذين اغنوا الأدب العربى بتلك النقائض الجميله والتى تبين مقدرة كل منهم وطول باعه ، وما أكثر الروايات والقصص التى تروى فى كتب الادب العربى عن هؤلاء الشعراء الذين شغلوا الناس فى فترة من الفترات الى الحد الذى اشترك فى تفضيل احدهم على الآخر الخلفاء انفسهم امثال عبدالملك بن مروان وغيره • وكل ذلك بلا شك يكوّن احكاما نقدية فى مكانة الشاعر من قوة او ضعف•

وفى الشام نرى شعر المديح قد طغى على غيره من الاغراض لمكانة دمشق من الخلافة وقد لون هذا الادب " بلون المديح ولوّن النقد بلون الأدب " (٢) وخير من نقد هذا اللون الخليفه الأموى عبدالملك ابن مروان الذى نقد بعض قصائد جرير وعبدالله بن قيس الرقيات وغيرهما • فاذا وصلنا الى العصر العباسى نرى ان الحضارة العربية بلغت اوج مجدها فعم الرخاء ومال الناس الى حياة الترف واتصل العرب بغيرهم من الأمم عن طريق الترجمه التى نشطت فى ذلك الوقت ، وأصبح الذوق الفطرى فى حكم المعدوم وحل محله الذوق الثقافى • كذلك أصبح

---

(١) الدكتور محمد رضوان الدايه تاريخ النقد الادبى فى الاندلس" دار الانوار بيروت ط ١ ١٣٨٨ هـ — ١٩٦٨ م " ص ٢٣٥

(٢) احمد امين • النقد الادبى " دار الكتاب العربى بيروت ط ٤ ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م ص ٤٦٤ •

النقد يأخذ مادته من عدة روافد : اولا : الشعراء والكتاب امثال بشار بن بـــرد وابى نواس وابى تمام وعبدالله بن المعتز وغيرهم ، ثانيا : نقد اللغويين الذيـــن جمعوا ما باستطاعتهم جمعه من اللغـــة والشعر والاخبار فدونوا ذلك فى مؤلفــــات عديدة وكانت لهم بعض الملاحظات النقديـــه المهمه ومن امثال هؤلاء ابو عمـــرو بـــن العلاء والاصمعى وابن سلام وغيرهم ، ثالثا : المتكلمون الذين اهتموا " بمسائـــل البيان والبلاغة لاتصالها بما كانوا ينهضون به من الخطابة والمناظره " (١)

وفى نهاية القرن الثالث وبدايـــة القرن الرابع الهجـــرى اتجـــه النقد الــــى المنهجيـــة والمقارنه وكان لانقسام النقاد فى تفضيل ابى تمام على البحترى والعكـــس اثر كبير فى دفـــع عجلـــة النقد فألف الصولى المتوفى سنة " ٣٣٥هـ " كتابـــه " اخبار ابى تمام " ، ثم ظهر بعد ذلك كتاب " الموازنه " لابى القاســـم الآمـــدى المتوفى سنة " ٣٧٠ هـ " ويعد هذا الكتاب من اعظم كتب النقـــــد واجلها .

وجاء المتنبى فملأ الدنيا وشغل الناس وثارت حولـــه خصومات عنيفـــه بعضها فـــى عصره وامتد بعضها الآخـــر الى ما بعد عصره واشهر كتاب الف فى هذا المجـــــال " الوساطـــه " للقاضـــى الجرجانى المتوفى سنة " ٣٩٢هـ " .

فكما نرى مر النقد بهذه التطورات حتى تبلور فى شكله الصحيح .

هذه لمامة سريعة عن صورة النقد فى المشرق أهملنا فيها اكثر الأمثلة لا شكـــا فى اهميتها وانما لأنا نريد ان ننفذ من هذه الاشارات العابره الى حالـــة النقـــــد

---

(١) الدكتور شوقى ضيف . البلاغه تطور وتاريخ " دار المعارف بمصر ط ٢ " صــ ٣٢

الادبى في الاندلس والذى يعد صدى لتلك الاتجاهات التي وجدت عند المشرقيين .

وكما وضحنا سابقا فان النهضة الحقيقية للأدب الأندلسى كانت مع بداية عهد عبدالرحمن الداخل الخليفة الأموى ولذلك فانا لا ننتظران تكون هناك اى اشارات نقدية تستحق الذكر قبل هذه الفترة لأن النقد - كما هو معروف - مرحلة ثانية تعتمد على الأدب الذى هو مصدر مادته .

وفى الواقع ان الاندلسيين ميزوا الشعر - وخاصة قبيل عصر الطوائف - بين مذهبين القديم والجديد وكانوا يسمون المذهب الأول مذهب " العرب " والثانى مذهب المحدثين (١) . ويقصدون بالأول " فخامة اللفظ وجزالته والتزام صور العرب ومسلكهم فى التعبير " وهذا هو معنى قول ابن حزم فى شعر جمونة احد شعراء الاندلس (٢) : " فهو جار على مذهب الأوائل " (٣) ، وقول الزبيدى ان الرباحى - الشاعر الاندلسى - " نظم قصيدة فى الرثاء على مذهب العرب " ، وقولهم (٤) ايضا ان ابا بكر الزبيدى رثى شيخه القللى البغدادى بقصيدة " جزلة الالفاظ كثيرة الغريب ، صاغها صوغ فحول العرب " .

(٥) اما شعر المحدثين فيقصدون به النهج على طريقة ابى نواس وابى تمام وابن المعتز

---

(١) الدكتور رضوان الدايه ص ٢٦٣

(٢) الدكتور احسان عباس . تاريخ الادب الاندلسى عصر سيادة قرطبه " دار الثقافه " بيروت ص ٤٨

(٣) الزبيدى . طبقات النحويين واللغويين " القاهره ١٩٥٤م " تحقيق محمدابوالفضل ابراهيم ص ٣٣٩ .

(٤) الثعالبى . يتيمة الدهر " مطبعة السعاده مصر ط ٢ ١٣٧٥هـ-١٩٥٦م " تحقيق محى الدين عبدالحميد جـ ٢ ص ٧١

(٥) الدكتور احسان عباس . تاريخ الادب الاندلسى عصر سيادة قرطبه ص ٤٦ .

وغيرهم وقد نالت هذه النماذج القسط الاكبر من اعجابهم " (٢) " ولتعليل التفات الاندلسيين الى هؤلاء واضرابهم لابد من افتراضات متعددة ، منها أثر الوافدين من المشرق ، وأثر الرحالة والمسافرين من الأندلس الى المشرق من طلاب العلم وشداة الرواية وقصاد الحج وسواهم ، فانهم كانوا يعودون ـ فيما يعودون به ـ بدواوين الشعراء الناجحين واشعارهم ، فهي بضاعة جديدة تستدعي التفات النظر . ومن ذلك ان الشعر الاندلسي : بدأ يتكون حين كان الشعر المشرقي يشهد تجديد بشار وأبي نواس ، ويقف على مفترق الطرق بين مذهبي أبي تمام والبحتري . ولما كان سكان الاندلس حينئذ يلتفتون في كل شيء الى المشرق فقد اتخذوا من شعر المشارقة المحدثين مثالا يقلدونه ونورا يهتدون به أي جعلوا الشعر المحدث ـ لا شعر العرب الاوائل ـ موروثا لهم ينسجون على منواله ويستوحون ما فيه ... ونتوقع ان يكون صدى الخلاف بين الطائيين في مذهبيهما قد انتقل الى الأندلس ، وان لم يأخذ طابع الحدة الذي شاربها في المشرق . " .

ولكن من الملاحظ ان الحركة النقدية في الأندلس لم تظهر بمثل النشاط الذي ظهرت به في المشرق لأن النقد كان في بدايته ولقلة النقاد الاندلسيين في تلك الفترة .

وكما شغل المتنبي اهل المشرق كذلك شغل اهل الأندلس ايضا (٢) ووجد من يتعصب له وكان ابن دراج (٣) يسمى متنبي الاندلس .

وشرح بعض الادباء الاندلسيين ديوان المتنبي مثل ابي القاسم بن الافليلي وغيره

---

(١) الدكتور رضوان الدايه ص ٢٦٦
(٢) ابن بسام ١/١ ص ٤٤
(٣) وقيل ان الذي كان يقارن بالمتنبي من شعراء الأندلس هو ابن هانيء ـ انظر احمد هيكل . الادب الاندلسي " دار المعارف بمصر ط ٦ ١٩٧١م " ص ٢٣٧

ويقول الدكتور الدايه : (١) " ولم يلبث أن ظهر المصرى ، وانتقل كثير من شعره وكتبه الى الأندلس وبان اثره على الشعراء والكتاب " ولعل فى هذا ما يكفى للبرهنة على ان الاتجاهات النقدية فى المشرق كان لها اثر واضح وملموس فى النقد الاندلسى الذى لم يبدأ فى الاستقلال الا على يد ابن شهيد وابن حزم وخاصة الأول منهما الذى استطاع ان يبنى منهجا نقديا واضحا فى النقد الادبى فى الاندلس.

وعلى اية حال فان اوليّات النقد الادبى فى الاندلس كانت جزئيه تعتمد على الذوق وتلتفت فى اكثر الاحيان الى النحو والصرف واللغة ووضع الكلمة فى موضعها المناسب ومن امثلة ذلك ما يروى (٢) عن جودى النحوى الاندلسى الذى تزود من المشرق وصنف فى النحو ، وكانت له حلقة مشهورة يبث علمه فيها ، وتتدارس فيها الاخبار والاشعار . وفى حلقته انكر على عباس بن ناصح — الشاعر الاندلسى قوله :

يشهد بالاخلاص نوتيّها * لله فيها وهو نصرانى

فلحن حين لم يشدد ياء النسب ، وكان بالحضرة رجل من اصحاب عباس بن ناصح ، فساءه ذلك فقصد الى عباس — وكان مسكنه بالجزيرة — فلما طلع على عباس قال له : ما أقدمك أعزك الله فى هذا الأوان ؟ . قال اقدمنى لحنك ! قال عباس : وكيف ذلك ؟ فأعلمه بما جرى من القول فى البيت ، قال : فهلا انشدتهم بيت عمران بن حطان :

يوما يمان اذا لاقيت ذا يمن * وان لقيت معديا فعدنانى

---

(١) الدكتور رضوان الدايه ص ٢٦٨

(٢) الزبيدى : ٢٧٨ — ٢٧٩ .

قال : فلما سمع البيت كرّ راجعا فقال له عباس : لو نزلت فأقمت عندنا ، قال : ما بى الى ذلك من حاجة ، ثم قدم قرطبة فاجتمع بجودى واصحابه فأعلمهم ."

ومن ذلك ايضا ما يروى (١) " عن ابى الكوثر الخولانى الذى انتقد قول ابى محمد الاعرابى العامرى لابراهيم بن حجاج صاحب اشبيليه : " تالله ما سيّدتك العرب الا بحقك " فقال له يا أبا محمد العلماء عندنا بالعربيه يقولون : سوّدتك ، واختلفا ، فكتب ابو الكوثر الى يزيد بن طلحه ـ وكان استاذا فى علم العربية واللغة ـ فأجابه : المعروف سوّدتك بالواو ولعل ما ذكر أبو محمد لغة لبنى عامر ، وأثار الجواب اشكالا أكبر ، فاستدعى ابراهيم بن حجاج يزيد بن طلحة فلما حضر خرج عليه فقال له : أتتسوّر على الرجل فى كلامه ؟ فقال ابن طلحة: ان العلم ليس من جهة المغالبة ولكن من جهة الانصاف والحقيقة ، فليجبنى أبو محمد عما أسأله عنه . فقال له : سل . فقال يزيد : كيف تقول العرب ساد يسود أو ساد يسيد ؟ قال الأعرابى : ساد يسود قال يزيد : هذه الواو معنا فى الفعل ، فكيف تقول العرب السودد أو السيدد ؟ فقال : السودد فقال يزيد : هذه الواو ثابتة فى الاسم . ثم قال أى منزلة عندكم عمر بن الخطاب رضى الله عنه من الفصاحة ؟ فقال الأعرابى : فوق كل منزلة . قال يزيد : فقد ثبت عندنا أنه قال : (تفقهوا قبل أن تسودوا) وهذا حديث لم يطعن فيه احد من علماء اللغة كما صنعوا فى سائر الاحاديث التى وقع فيها الغلط . فلع الاعرابى وقال : يا أهل الأمصار : ماذا صنعتم بالكلام ."

---

(١) الزبيدى . ص ٢٩٥ ـ ٢٩٦

(١)
ومن ذلك ايضا ما رواه إبن سعيد من أن عباس بن ناصح الثقفى الشاعر المعروف :

" وفد مرة على قرطبة فى مدة الحكم الربضى ، فجاءه ادباؤها للأخذ عنه ، فمرت عليهم قصيدة :

لعمرك ما البلوى بعار ولا العدم * اذا المرء لم يعدم تقى الله والكرم

حتى انتهى القارئ الى قوله :

تجاف عن الدنيا ، فما لمعجز * ولا حازم — الا الذى خط بالقلم

(٢)
فقال له يحيى الغزال — وهو حدث — أيها الشيخ ، وما الذى يصنع مفعل مع فاعل ؟ ! فقال : فكيف تقول أنت ؟ قال :

تجاف عن الدنيا فليس لعاجز * ، فقال عباس : والله لقد طلبها عمك ليالى فما وجدها ! . "

وكان اكثر النقد او بالاحرى — الخطرات النقديه — تدور فى مجالس الخلفاء او الكبراء وغالبا ما يكون اعتراضا على الشاعر من حيث اللغة او المعنى . ومن ذلك ما رواه ...
(٣) (٤)
الحميدى حين يقول : " لما قدم صاعد بن الحسن اللغوى على المنصور بن أبى عامر جمعنا معه فسألناه عن مسائل من النحو غامضة ، فقصر فيها ، فلما رآه ابن ابى عامر كذلك قال : دعوه ، فهو من طبقتى فى النحو ، أنا أناظره ، قال : ثم سألنا

---

(١) ابن سعيد جـ ١ ص ٣٢٤ — ٣٢٥

(٢) هو يحيى بن حكم ، ويلقب بالغزال لوسامته وظرفه ولد سنة ١٥٦ هـ ونشأ نشأة علمية ادبية غير ان الشعر غلب عليه فاشتهر به . انظر . ابن دحيه . المطرب " دار العلم بيروت " تحقيق ابراهيم الابيارى ، والدكتور حامد عبد المجيد ص ١٣٣ ، ابن سعيد جـ ٢ ص ٥٧ ، احمد هيكل ص ١٥٧

(٣) الحميدى . جذوة المقتبس " الدار المصريه للتأليف مصر ١٩٦٦م " ص ٢٤٢ — ٢٤٣

(٤) انظر ترجمته فى ابن بسام ٤/١ ص ٢

صاعد فقال : ما معنى قول امرئ القيس :

كأن دماء الهاديات بنحره * عصارة حناء لشيب مرجّل

فقلنا : هذا واضح وانما وصف فرسا أشهب عقرت عليه الوحش فتطاير دمها الى صدره فجاء هكذا ، فقال صاعد : سبحان الله ! أنسيتم قوله قبل هذا فى وصفه :

كميت يزلّ اللّبد عن حال متنه * كما زلت الصفواء بالمتنزل

قال : فبهتنا والله ، وكأننا لم نقرأ هذا البيت قط ، واضطرّنا الى سؤاله عنه ، فقال : انما عنى أحد وجهين : اما أنه تفشى صدره بالعرق ، وعرق الخيل أبيض فجاء مع الدم كالشيب ، واما شيئا كانت العرب تصنعه ، وهو أنها كانت تسم باللبن الحار فى صدور الخيل ، فيتمعط ذلك الشعر وينبت مكانه شعر أبيض فأيا ما عنى من أحد الوجهين فالوصف مستقيم ."

ومن الملاحظ أن مشكلة السرقات شكلت موضوعا هاما من موضوعات النقد فى الأندلسى منذ بدايته وقد حفظت لنا المصادر الاندلسية صورا من ذلك وخاصة فى مجالس الخلفاء والأمراء من ذلك ما يروى عن المنصور انه جئ اليه بوردة (١) " فى غير ايامها ، لم تستتم فتح كمامها ، فقال فيها صاعد على الارتجال :

أتتك أبا عامر وردة * يذكرك المسك انفاسها

كعذراء أبصرها مبصر * فغطت بأكمامها رأسها

فسر بذلك المنصور . وكان ابن العريف حاضرا ، فحسده ، وجرى الى مناقضته ، وقال لابن ابى عامر : ان هذين البيتين لغيره ، وقد انشد فيهما بعض البغداديين بمصر لنفسه ، وهما عندى على ظهر كتاب بخطه ، فقال له المنصور : أرنيه .

---

(١) ابن بسام ٤/١ ص ٩

فخرج ابن العريف وركب وجعل يحث ، حتى أتى مجلس ابن بدر ، وكان أحسن أهل وقتــه بديهة ، فوصف له ما جرى فقال :

عشوت الى قصر عباســـــة * وقد جدل النوم حراسهـــــا
فألفيتها وهى فى خدرهـــا * وقد صرع السكر أناسهـــا
فقالت : أسار على هجعـــة ؟ * فقلت : بلى ، فرمت كاسهـــا
ومدت يديها الى وردة ..... * يحالى لك الطيب انفاسهـــا
كمذراء أبصرها مبصـــر * فغطـت بأكمامها رأسهـــا
وقالت : خف الله لا تفضحـن * فى ابنة عمك عباسهـــا
فوليت عنها على عفـــة * وما خنـت ناس ولا ناسهـــا

فطار ابن العريف بها ، وعلقها على ظهر كتاب بخط مصرى ، وورى وتحيل بمـداد اشقر ، ودخل بها على المنصور ، فلما رآها اشتد غيظا على صاعد " .

واهم كاتب ظهر قبل ابن شهيد وابن حزم فى الاندلس هو ابن عبد ربه الـذى اشتهر بمؤلفه الجليل " العقد الفريد " وقد جمع فيــه كثيرا من الاشعـــار والاخبار والقصص وخاصـة عن اهل المشرق فكأنما هى بضاعتهم ردت اليهم ولانكـاد نلمس فى هذا الكتاب الشخصيــة الاندلسيــة المستقلـة وانما هو (١) " لاحق بكتـب المختارات والمحاضرات على شاكلة ما كان شا ئما فى المشرق مثل بعض كتب الجاحـظ وابـن قتيبه والمبرد وغيرهم . " .

اما من الناحيـة النقديـة فى الكتاب فانا نستطيع ان نلحقـه بأوليات النقـد الادبـى فى الاندلس لأن اكثر احكام المؤلف تقوم على الذوق من استحسـان او استهجان والتعقيب على بعض الآراء السابقـة .

من كل ما سبق يتبين لنا أن النقد الادبى فى الاندلس لم يستطع ان يأخـذ

---

(١) الدكتور محمد رضوان الدايـــه ص ٢٨٠

شكلـه المميزوشخصيته المستقلـة ــ وانما اعتمد على الذوق الشخصى والحكم اللغوى حتى جاء ابن شهيد فكون له منهجـا واضحا وطريقة جليـة فكأنه بذلك واضع اسـس النقد الادبـى فى الاندلس وهذا ما لاحظـه الدكتور احسان عباس حينما قال : (١)

" ولعل اعظم اثنين تمرسا بالنقد فى القرن الخامس وربما ظلا أعظم من نلقاهمـا فى تاريخ النقد هنالك ، هما ابن شهيد وابن حـزم ، وكانا صديقين يلتقيان علـى بعض شئون الحياة " .

(٢)
ويقول فى موضوع آخـر : " اصبح ابن حـزم غير جاد فى بناء منهج نقـدى واضـح كالذى فعلـه ابن شهيـد " .

وكل ذلك سوف يتضح لنا بوضوح بعد أن نلقى الضوء على نقده فى الأبـواب المقبلـه من هذه الرسالـة .

---

(١) الدكتور احسان عباس . تاريخ النقد الادبى عند العرب ص ٤٧٥
(٢) الدكتور احسان عباس . تاريخ الأدب الأندلسى ص ١٤٥ .

- الباب الأول : " ابن شهيـــــد " -

" الفصل (الأول) "

ابن شهيـــد

نسبـــه :

" هو ابو عامر احمد بن عبد الملك بن احمد بن عبد الملك بن عمـــر ابن محمد بن عيسى بن شهيد (*) اشجعى النسب من ولد الوضاح ابن رزاح الـــذى كان مع الضحاك يوم المرج (١) • وهذا الوضاح هو جد بنى وضاح من اهل مرسيـــه (٢) واليه ينتسبون فبنو وضاح من اشجع واشجع من قيس عيلان بن مضر وقد أســـر الوضاح بن رزاح فى يوم المرج ومن عليـــه مروان بن الحكم " •

---

(١) معركة حدثت بين الضحاك بن قيس الفهرى الذى كان قائد الجيـــوش عبد الله بن الزبير وبين مروان بن الحكم وهى المعركة الحاسمة التـــى استعاد فيها بنو اميه ملكهم من جديد وهزم فيها الضحاك وجئ برأســه امام مروان بن الحكم فساءه ذلك • انظر " الطبرى • تاريخ الطبـــرى تحقيق ابو الفضل ابراهيم ط ٢ دار المعارف بمصر ١٩٧١ م ج ٥ صـ ٥٣٥ / صـ ٥٣٨ •

(٢) مرسيه : بضم أوله ، والسكون ، وكسر السين المهمله ، وياء مفتوحـــة خفيفة ، وهاء ، مدنية بالاندلس من اعمال تدمير اختطها عبد الرحمـــن بن الحكم بن هشام " ياقوت الحموى • معجم البلدان " دار صـــادر بيروت ١٣٧٦هـ ١٩٥٧ م " ج ٥ ص ٤٠

(*) " شهيد : بضم الشين المثلثه ، وفتح الهاء ، وسكون الياء المثناة مـــن تحتها ، وبعدها دال مهملة ـ والاشجعى ـ بفتح الهمزة ، وسكون الشين المثلثه ، وفتح الجيم ، وبعدها عين مهملة ـ هذه النسبة الى اشجع بن ريث بن غطفان ، وهى قبيلة كبيرة " ابن خلكان وفيات الاعيان تحقيق محى الدين عبد الحميـــد " مطبعة السعاده ١٣٦٧هـ ـ ١٩٤٨م " ج ١ ص ١٠٠ •

هكذا نسبه الضبى (١) وعليه اكثر المؤرخين (٢) ولكن بعض الكتب تزيد في نسبه فيقولون : انه احمد بن عبد الملك بن مروان بن احمد بن عبد الملك ..الخ " (٣)

وفيما يبدو انه قد حدث شيء من الخلط عند هؤلاء لأن والد ابى عامر ابن شهيد كان يكنى " بأبى مروان " (٤) فظن هؤلاء انه " ابن مروان " . او انهم خلطوا بينه وبين عبد الملك بن مروان بن احمد بن شهيد الذى يكنى " بابى الحسن " (٥) الراوية المحدث وهو غير والد ابى عامر ابن شهيد .

---

(١) الضبى . بغية الملتمس طبعة مدريد ١٨٨٤م يطلب من مكتبة المثنى بغداد ومؤسسة الخانجى بمصر ص ١٧٨ ـ ١٧٩

(٢) الكتب التى ترجمت له هى : الحميدى . جذوة المقتبس " مصر ١٩٦٦م " ص ١٣٣ . ابن سعيد .المغرب " دار المعارف بمصر ١٩٦٤م " ص ٧٨ . ياقوت الحموى . معجم الادباء مصر عيسى البابى الحلبى " ج ٣ص . الثعالبى . يتيمة الدهر تحقيق محى الدين عبد الحميد " مطبعة السعادة القاهرة ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٦م ط ٢ ج ٢ ص ٣٦ . ابن بسام الذخيره " القاهرة ١٣٥٨هـ ـ ١٩٣٩م " ١/١ ص ١٦١ المقرى . نفح الطيب " دار صادر بيروت ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م " تحقيق الدكتور احسان عباس ج ١ ص ٦٢١ . الفتح بن خاقان . مطمح الانفس "مطبعة الجوائب قسطنطينيه ١٣٠٢هـ ط١ " ص ١٦ . الكلاعى . أحكام صنعة الكلام . " دار الثقافه بيروت ١٩٦٦م " تحقيق : الدكتور محمد رضوان الدايه ص ٤٦ . احمد ضيف . بلاغة العرب فى الاندلس" مصر ١٣٤٢م ـ ١٩٢٤م ط١ " ص ٤٣ . زكى مبارك . النثر الفنى " دار الجيل بيروت ١٩٧٥م " ج٢ ص ٣٦٨ . يعقوب زكى . ديوان ابن شهيد " القاهره . دار الكتاب العربى " ص ٥ . خير الدين الزركلى . الاعلام " بيروت ١٣٨٩ ـ ١٩٦٩م ط ٣ " ج ١ ص ١٥٧ . ـ بروكلمان . تاريخ الأدب العربى " دار المعارف بمصر ١٩٧٥م " ترجمة .رمضان عبد التواب ج ٥ ص ١٢١ . الدكتور احسان عباس . تاريخ الادب الاندلسى عصر سيادة قرطبة " دار الثقافة بيروت ١٩٧٥م " ص ٢٧٠ . الدكتور شوقى ضيف الفن ومذاهبه فى النثر العربى " دار المعارف بمصر ط ٥ " ص ٣٢١ محمد عبد المنعم خفاجى . قصة الادب فى الاندلس. " مكتبة المعارف بيروت ١٩٦٢م " ص ٢٩٨ . الدكتور محمد رضوان الدايه. تاريخ النقد الادبى فى الاندلس" دار الانوار بيروت ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م ط ١ " ص ٢٩٣ . الدكتور جودت الركابى فى الادب الاندلسى " دار المعارف بمصر ط ٣ " ص ٩١ . الامير شكيب أرسلان الحلل السندسية " مكتبة الحياة بيروت ١٣٥٨هـ " ج ٣ص ٤٥٥ .

وأبو عامر يحمل نفس الاسم الذى يحمله الجد الادنى وهو احمد بن عبد الملك ابن شهيد ومن هنا حصل لبس بين الصغير والكبير ، والحفيد والجد عند بعض الباحثين فخلطوا بينهما حتى فى رواية الأشعار .

كان ابو عامر سليل اسرة عرفت بالرئاسة (١) والوزارة منذ زمن بعيد فى تاريخ الاندلس يقول ابن الابار (٢) : " وشهيد بن عيسى هو الداخل الى الاندلس فى ايام عبد الرحمن بن معاوية ، وتصرف بنوه للخلفاء فى الخطط السنية ، من الامارة والحجابة والوزارة والكتابة ، الى انقراض الدولة الأموية بالاندلس . "

---

(٣) الكتب التى نسبته بهذا النسب هى :ـ
ابن خلكان . وفيات الاعيان " مطبعة السعادة مصر ١٣٦٧ هـ ١٩٤٨م " تحقيق محى الدين عبد الحميد ج ١ ص ٩٨ . الصفدى . الوافى بالوفيات دار صادر بيروت " ج ٧ ص ١٤٤ . ابن دحيه . المطرب من اشعار اهل المغرب " دار العلم للجميع بيروت " تحقيق . ابراهيم الابيارى وغيره ص ١٥٨ بطرس البستانى . رسالة التوابع والزوابع " دار صادر بيروت ١٣٨٧ هـ ١٩٦٧م " ص ٧ . الدكتور احمد هيكل . الادب الاندلسى " دار المعارف بمصر ١٩٧١ ط ٦ " ص ٣٧٢ . المعلم بطرس البستانى . دائرة المعارف " مؤسسة مطبوعات اسماعيليات طهران " ج ١ ص ٥٤٩ . شارل بلات . مقدمة ديوان ابن شهيد " جمع " " بيروت ١٩٦٣م ط ١ " .

(٤) ويزيل الشك قول ابن شهيد نفسه فى رسالة التوابع والزوابع عندما سأله الجنى عن من قائل هذين البيتين :

اتيناك لاعن جاجة عرضت لنا * اليك ولا قلب اليك مشوق
ولكننا زرنا بفضل حلومنا * حمارا تلقى برنا بعقوق

قلت : جدى . ومن الثابت ان قائل هذين البيتين هو احمد بن عبد الملك المسمى بذى الوزارتين . ابن بسام ص ٢٥١ ـ ٢٥٢

(٥) ابن بشكوال . الصلة " الدار المصرية ١٩٦٦م " ج ٢ ص ٣٥٧

(١) للمزيد عن هذه الاسرة انظر : ابن حيان . المقتبس " دار الكتاب العربى بيروت ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م " تحقيق : الدكتور محمود على مكى ص ٤٤٧ .

(٢) ابن الابار . الحلة السيراء " الشركة العربيه ـ القاهرة ط ١ ١٩٦٣م " تحقيق حسين مؤنس ج ١ ص ٢٤٨ .

وكان جد ابى عامر " احمد بن عبد الملك " من المقربين عند عبد الرحمن بن محمد الناصر ، فولاه الكورقاد الصوائف وغزا الهشكنس وتولى الوزارة وهو أول من سمى " بذى الوزارتين " (١) وكان من اهل الادب وهو صاحب الهدية المشهورة التى ذكرها ابن خلدون (٢) فقال : " واهدى له هديته المشهورة المتعددة الاصناف ذكرها ابن حيان وغيره وهى مما نقل من ضخامة الدولة الأموية واتساع أحوالها ، وهى خمسمائة ألف مثقال من الذهب العين ، وأربعمائه رطل من التبر ، ومصارفه خمسة واربعين (٣) ألف دينار . ومن سبائك الفضة مائتا بدرة واثنا عشر رطلا من العود الهندى يختم عليه كالشمع ، ومائة وثمانون رطلا من الصمغى المتخير ، ومائة رطل من العود الشبه المنعى ، ومائة أوقية من المسك الذكى المفضل فى جنسه وخمسمائة أوقية من العنبر الأشهب المفضل فى جنسه على خليقته من غير صناعة ومنها قطعة ملطمة عجيبة الشكل ، وزن مائة اوقية ، وثلثمائة اوقية من الكافور المترفع الذكاء . ومن اللباس ثلاثون شقة من الحرير المختم المرقوم بالذهب للباس الخلفاء ، مختلفة الالوان والصنائع ، وعشرة أفرية من عالى جلود الفنك الخراسانية وستة من السرادقات العراقية ، وثمان واربعون من الملاحف البغدادية لزينة الخيل من الحرير والذهب ، وثلاثون شقة الفريون من الملاحف لسروج المهات ، وعشرة قناطير من السمور فيها مائة جلد ، واربعة آلاف رطل من الحرير المغزول ، وألف

---

(١) لهذه المعلومات انظر . ابن الابار ج ١ ص ٢٣٨ .

(٢) ابن خلدون . كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر " دار الكتاب اللبنانى — لبنان ١٩٥٨م " القسم الأول ج ٤ ص ٢٩٩ — ٣٠٠ . وانظر ايضا المقرى . نفح الطيب ، وانظر محمد عبد الله عنان . دولة الاسلام فى الاندلس " مكتبة الخانجى بالقاهرة ط ٤ ١٣٨٩ — ١٩٦٩م " العصر الأول — القسم الثانى ص ٤٦٠

(٣) هكذا فى الأصل وهو خطأ نحوى والصحيح (واربعون) .

رطل من الحرير المنتقى للاستفزال ، وثلاثون بساطا من الصوف وعشر مائة منقاة مختلفة ومائة قطعة معليات من وجوه الفرش المختلفة ، وخمسة عشر من نخاخ الخز المقطوع شطرها ·

ومن السلاح والعدة ثمانمائة من تخافيف الزينة أيام البروز والمواكب ، والف ترس سلطانية ، ومائة الف سهم من النبال البارعة الصنعة ، ومن الظهور خمسة عشر فرسا من الخيل العراب المتخيرة لركاب السلطان فائقة النعوت ، وعشرون من بغال الركاب مسرجة ملجمة بمراكب خلافية ، ولجم بغال مجالس سروجها خز جعفرى عراقى ، ومائة فرس من عتاق الخيل التى تصلح للركوب فى التصرف والغزوات ، ومن الرقيق أربعون وصيفا وعشرون جارية متخيرات بكسوتهن وزينتهن ومن سائر الاصناف ومن الصخر سيات ما أنفق عليه فى عام واحد ثمانون ألف دينار ، وعشرون ألف عود من الخشب من أجمل الخشب وأصلبه وأقدمه فقيمته خمسون الف دينار · وعرضت الهدية على الناصر سنة سبع وعشرين فشكرها وحسن لديه موقعها (١) · "

ويروى لنا المقرى (٢) قصة طريفه حدثت بين جد ابى عامر بن شهيد وبين وزير آخر هو عبد الملك بن جهور مشاركه فى تدبير الأمور وكانت بينهما منافسة فجاء ابن شهيد لزيارة ابن جهور فتأخر خروج الاذن اليه فذهب غاضبا وقال فيه :ـ

" (٣)
اتيناك لا عن حاجة عرضت لنا * اليك ولا قلب اليك مشوق
ولكننا زرنا بفضل حلومنا * حمارا تولى برنا بعقوق

فراجعه ابن جهور يفض منه ، بما كان يشيع عنه ، بأن جده أبا هشام كان بيطارا بالشام بقوله :
حجبناك لما زرتنا غير تائق * بقلب عدو فى ثياب صديق
وما كان بيطار الشام بموضع * يباشر فيه برنا بخليق "

---

(١) وفى هذا دليل على الحضارة التى وصلت اليها الاندلس فى ذلك الوقت·
(٢) المقرى جـ ١ ص ٣٨
(٣) المقرى جـ ١ ص ٣٨١

اما والد ابن شهيد فقد كان من شيوخ الوزراء في الدولة العامرية يقول عنه ابن بشكوال (١) : " ابو مروان عبد الملك بن احمد بن شهيد . كان اوحد الناس بالتقدم في علم الخبر والتاريخ واللغة والأشعار ، وسائر ما يحاضر به الملوك . مع سعة روايته للحديث والآثار وهو مؤلف " كتاب التاريخ الكبير في الاخبار " على توالي السنين . بدأ به من عام الجماعة سنة أربعين وانتهى الى أخبار زمانه المنتظمة بوفاته رحمه الله . وهو ازيد من مائة سفر " .

وكان ابو مروان هذا عاملا للمنصور على الجهة الشرقية بتدمير (٢) وبلنسية (٣) لمدة تسعة اعوام حتى سئم العمل فكتب الى المنصور رقعة (٤) يقول فيها " ان كبير حق المولى لا يذهب بصغير حق العبد ، ولي حرمة أدل بها ، وذمة انبسط لها ، وقد طالت على الغربة ، وسئمت الخدمة ، ومللت من النعمة فالاداله الاداله ، فاداله . " .

---

(١) ابن بشكوال جـ ٢ ص ٣٥٥
(٢) تدمير : بالضم ثم السكون ، وكسر الميم ، وياء ساكنة ، وراء : كورة .... بالاندلس تتصل بأحواز كورة جيان ، وهي شرقي قرطبه ، ولها معادن كثيرة ... وبينها وبين قرطبة سبعة أيام للراكب القاصد . قال الاديب ابو الحسن علي بن جودي الاندلسي :
لقد هيج النيران ، يا أم مالك * بتدمير ذكرى ساعدتها المدامع
ياقوت الحموي . معجم البلدان " دار صادر بيروت " جـ ٢ ص ١٩٠ .
(٣) بلنسية : السين مهملة مكسورة ، وياء خفيفة : كورة ومدينة مشهورة بالاندلس متصلة بحوزة كورة تدمير ، وهي شرقي تدمير وشرقي قرطبة ، وهي برية بحرية ذات اشجار وانهار ، وتعرف بمدينة التراب ، وتتصل بها مدن تعد في جملتها . قال الشاعر :
بلنسية جنة عالية * ظلال القطوف بها دانيه
عيون الرحيق مع السلسبيل * وعين الحياة بها جاريه
ياقوت الحموي . معجم البلدان جـ ١ ص ٤٩٠
(٤) ابن بسام ١/١ ص ١٦٧

وبعد ان ترك ابو مروان العمل اصبح نديما من ندماء المنصور يحضر مجالس انسه ويبادله شرب الاقداح من ذلك ما رواه ابن بسام (١) قال : " كان المنصور قد عزم ذلك اليوم على الانفراد بالعيال ، فأمر باحضار الأصحاب ، واحضر الوزير أبا مروان ، وأخذوا فى شأنهم ، فمر لهم يوم من الطيب لم يشهد ، والونة من اللهو لم تعهد ، وطما الأمر وسما حتى تصايح القوم وتزافنوا ، ودار الدور ، ثم انتهى الى الوزير ابن شهيد ، وكان لا يطيق القيام لنقرس كان يلازمه ، فأقامه الوزير أبو عبد الله بن عياش ، فارتجل الشيخ ابياتا جعل يقود بها وينشد :

هاك شيخ قاده عذر لكا * قام فى رقصته مستهلكا

لم يطق يرقصها مستثبتا * فانثنى يرقصها مستمسكا

عاقه عن هزها معتمدا لا * نقرس انحى عليه فاتكا

طرب اللهو وقد حق له * طربا ارمضه حتى اشتكى

من وزير فيهم رقاصة * قام من طيب يناغى ملكا

انا لو كنت كما تعرفنى * قمت اجلالا لا على رأسى لكا

قهقه الابريق منى ضحكا * ورأى رعشة رجلى فبكى (٢)

---

(١) ابن بسام : ٤/١ ص ١٧ ـ ١٨

(٢) ابن خلكان نسب هذه الابيات خطأ الى ابى عامر ابن شهيد فى كتابه " وفيات الاعيان ج١ ص ٣٩٩ ـ ٤٠٠ ولكن محقق الكتاب وهو الدكتور احسان عباس تنبه الى ذلك فقال فى الحاشية : " هذا الخبر ... لا يتصل بالمترجم وانما يروى عن ابيه فان ابا عامر صاحب الترجمة لم يدرك عهد المنصور بن ابى عامر . " وان أصاب الدكتور احسان فى الأولى فقد اخطأ فى الثانية لأن اباعامر ابن شهيد ادرك المنصور والدليل على ذلك نص صريح له فى الذخيره القسم الأول ج ١ ص ١٦٣ . ومما تجدر الاشارة اليه انه كانت امام المحقق عدة طرق لاثبات ان الخبر يروى عن والد ابى عامر من ذلك ان ابا عامر نفسه صرح بأن الشعر السابق ليس له وانما هو لوالده " الذخيره القسم الأول ج ١ ص ١٧٧ ، وكذلك ان ابا عامر لم يصب بالنقرس وانما اصيب بالفالج وضيق النفس ، ودليل آخر هو البيت الذى يقول : هاك شيخ قاده عذر لكا * قام فى رقصته مستهلكا مما يدل على أن القائل شيخ كبير وليس من المعقول أن يكون ابو عامر شيخا فى عهد المنصور .

وكان أيضا من اصحاب ابن شهيد رجل بغدادى يعرف بالكك[1] له نوادر تضحك .... فقال له ـ لابن شهيد ـ البغدادى : لله درك يا وزير ! تصلى بالقاعدة وترقص بالقائمة ! فخطاب المجلس بهذا الكلام ."

من كل ما سبق يتبين لنا أن ابن شهيد نجل تلك الاسرة الارستقراطية المثقفة فكما رأينا جده شاعرا واديبا رأينا والده مؤلفا وكاتبا وكل ذلك له اثر كبير فى شخصية ابن شهيد وادبه كما سنرى .

---

(١) وقيل : الفكيك . انظر المقرى . جـ٣ ص ٢٦١

حياتـــه :

ولد ابو عامر ابن شهيد سنة ٣٨٢ هـ (١) (٩٩٢م) فى مدينة قرطبـــة وهى آنذاك فى ازهى عصورها التاريخيــة تعج بالعلم والعلماء ومجالس الأدب ، واللهــو.

وعاش ابن شهيد فى احضان النعيم والرفاهيه كما هى الحال فى ابناء الـــوزراء والامراء فلعب بالذهب صغيرا كما يقول عن نفســه (٢) " صرت بين يدى المنصور ، فى يوم مطير ، وانا ابن خمس ، أذكر ذلك ذكرى لما كان بالامس ، وكان من اكرامــــه لى ، ولطيف اهتمامه بى ، ما يطول بــه الكتاب ، ولايحتمله الخطاب . وعينـــه ومحضـــه ،وصريحـــه وزبده : أنه وهبنى يوما تفاحـــة كانت بين يديه كبيرة ، ورآنـــى انظر اليها نظر الكلف ، وأتأملها تأمل الشره ، فامرنــى بالقبض عليها ، والعـــض فيها ، فضاق فمى عن أن احيط بجز من اجزاء كرتها ،وصغرت كفى عن أن تقبـــض الا بمختنق من مخانق أنحائها ، فجعل يقطع لى بفمـــه ، ويطعمنى على حكمـــه ودعا الناصر ، ومعه فتى سمعتهم يكنونه ابا شاكر ، فقال له : احمله الى أمك ، وأرفق به فى أمك ،......

ومر ابى حتى انزلانى بين يدى السيدة ، واليها امر كل قيمه ، فاستوت بـــى على سريرها ، وعلى مفرقها اكليل من مهابة اميرها ، فلا انس ذلك البهاء فـــى ذلك البهو ، وذلك الحسور الىّ من قناع الزهو ،وطار الخبر بقدومى فى مقاصير

---

(١) كل المصادر تجمع على ذلك ما عدا الامير شكيب ارسلان فيقول ان ولادته كانـت سنة ٣٤٢ وهذا غير صحيح . الامير شكيب ارسلان . الحلل السندسيــــه جـ ٣ص ٤٥٧ .

(٢) ابن بسام ١/١ صـــ ١٦٤ ـ ١٦٥

المقائل ، وحجرات الكرائم . فأرقلن من تلك الصانع ، تطير بهن أجنحة الصنائع ، فيالها من كسى وخلع ، وغرائب وبدع [وأمرت السيدة بألف تحمل معى عن نفسها ، وثلاثة آلاف عن سيدها ، فانصرفت بالغنى ، من ذلك الجنى ، ولم أصرف الى المنصور حتى صرت عند ابى ، وقد ظننت أنه متجاف عنه لى ، أو تارك منه معى ، وكانت لى فيه آمال من التوزيع على الخدمة والعيال من الصبيان وصبايا الجيران . أمر ففرق منه على بطانته ، وأشار بحمل باقيه الى خزانته فظللت واجما ، وطفقت راغما ، أطفئ من جمرتى فتذكو ، وأخفى من لوعتى فتبدو ، وبلغ ذلك المنصور ، فوجه نحوى بخمسمائة دينار ، وأقسم على ابى بحياته الا يمنعنى منها ، وأن يدعنى بحكمى فيها ، فبادرت بالركب والرجل ، واخذت فى البذل والعطاء ، وحبوت بأجزل الحبا (١) ، والخيل اذ ذاك نخب من قصب ، والدرق قشور من خشب ، فيومى مذكور فى منية المغيرة الى الآن . "

وبالطبع كان لتلك الحياة الارستقراطية اثر كبير على سير حياة ابن شهيد فقد غلبت عليه البطالة وقاده هواه الى التهتك والانغماس فى الشهوات .

وكان للحياة الاجتماعيه اثر ملموس على حياة ابن شهيد فقد كانت قرطبة فى ذلك الوقت وقبل ان تشتعل فيها نيران الفتنة تعيش فى أمن وسلام وينعم اهلها بالرخاء والاستقرار مستمتعين بجمال الطبيعة الذى ساعد على صفاء نفوسهم ويلبسون اجمل الثياب ويتفننون فى العمران وزخرفة

---

(١) فى هذا دليل على ان الكرم عادة لازمت ابن شهيد منذ الصغر .

المنازل .(١)

وكان ابن شهيد يجلس في " حير الزجالي " خارج باب اليهود يكحل ناظريه بجمال الطبيعة ويتناول اقداح الخمر ويجاذب اصدقاءه اطراف الاحاديث والاسمار الادبيه يقول المقري (٢) : " وهذا الحير من ابدع المواضع وأجلها ، واتمها حسنا وأكملها ، صحنه مرمر صافي البياض ، يخترقه جدول كالحية النضناض ، به جابية ، كل لجة بها كابية ، قد قربصت بالذهب واللازورد سماؤه ، وتأزرت بها جوانبه وأرجاؤه ، والروض قد اعتدلت أسفاره ، وابتسمت من كمائمها أزهاره ... وكانت لأبي عامر بن شهيد فيه وراحات ، اعطاء فيها الدهر ما شاء ، ووالى عليه الصحو والانتشاء ، وكان هو وصاحب الروض المدغمون بازائه أليفي صبوة ، وحليفي نشوة ، عكفا فيه على جريالهما ، وتصرفا بين زهوهما واختيالهما ، حتى ردا هما الردى ، وعداهما الحمام عن ذلك المدى فتجاورا في الممات ، تجاورهما في الحياة ."

وكان العيش في عرف ابي عامر ابن شهيد كأسا مترعة روجها حسنا وفتية جعلوا السرور شعارهم ، وادبا يزين به هذه المجلس ، يقول ابن شهيد (٣) :—

---

(١) للمزيد انظر . لافي بروفنصال . صفة جزيرة الاندلس منتجه من الروض المعطار للحميري " لجنة التأليف والنشر . القاهره ١٩٣٧م " ص ١٥٣ ، وانظر محمد عبدالله عنان . الآثار الاندلسيه الباقيه " مؤسسة الخانجي بمصر ط ٢ ١٣٨١هـ — ١٩٦١م " ص ١٨ وما بعدها .

(٢) المقري ج ١ ص ٦٣٥

(٣) ابن خاقان . المطمح ص ١٩

(١)
ولرب حان قد شممت بديــــره * خمر الصبى مزجت بصرف عصيـــره

فى فتية جعلوا السرور شعارهــم * متصاغرين تخشعا لكبيـــره

والقس مما شاء طول مقامنــا * يدعو بعود حولنا بزبـــوره

يهدى لنا بالراح كل مصفــر * كالخشف خفره التماح خفيــره

يتناول الظرفاء فيه وشربهـــم * اسلافهم والاكــل من خنزيـــره

وبلغ من تهتك ابن شهيد انه يتعرض للحرائر وبنات الاعيا ن فى ليـــال اشد ما يكون فيها المرء ارتباطا بخالقــه من ذلك ما رواه الفتح بن خاقان مــن أنه تعرض لاحدى بنات الاعيان وكانت ذاهبه الى الصلاة فى ليلة سبـــع (٢)
وعشرين من رمضان : وقد هربت منا حين رأته فأنشأ فيها قصيده منها هـــذه الأبيــات :ـ

وناظرة تحت طى القنـــاع * دعاها الى الله والخـير داع

سعت بابنها تبتغى منـــزلا * لوصل التبتــل والانقطـــاع

وجالت بأكنافــه جولـــة * فحل الربيــع بتلك البقـــاع

الى آخــر القصيــده . "

x x x x x

وكانت الحياة الثقافيــة فى قرطبــه نشيطة جدا بل انها بزت بقية مدن الاندلس فى هذه الناحيــه ـ فى ذلك الوقت ـ فقد كان العلماء والادباء والاعيـــان

---

(١) هكذا عند ابن خاقان والأصح أن تكون " الصبا " بالألف الممدوده كما فى الذخيره ص ٢٢٢ والديوان ص ١١٥
(٢) يعقوب زكـى . الديوان ص ١٢٤

يتسابقون الى شراء الكتب وكانت مجالسهم تزدان بالمناظرات الادبية والمناقشات العلمية مما جعل الحركه الثقافية تبلغ ذروة مجدها حتى انه قيل عن قرطبه (١) " هى اكثر بلاد الاندلس كتبا ، وأشد الناس اعتناء بخزائن الكتب ، صار ذلك عندهم من آلات التعين والرياسة ، حتى ان الرئيس منهم الذى لا تكون عنده معرفة يحتفل فى ان تكون فى بيته خزانة كتب ، وينتخب فيها ليس الا لأن يقال : فلان عنده خزانة كتب ، والكتاب الفلانى ليس هو عند احد غيره ، والكتاب الذى هو بخط فلان قد حصله وظفر به . "

وقيل ايضا (٢) " اذا مات عالم باشبيليه فأريد بيع كتبه حملت الى قرطبة حتى تباع فيها ، وان مات مطرب بقرطبة فأريد بيع آلاته حملت الى اشبيليه ، قال : وقرطبة اكثر بلاد الله كتبا . "

وكل هذا بلاشك كان له اثر واضح فى ثقافة ابن شهيد مما جعله واسع الاطلاع غزير المعرفة يناظر الادباء ويناقش العلماء فى جميع المواضيع وشتى الفنون . فمما لا شك فيه ان للبيئة اثرا كبيرا على صاحبها .

x x x x

ولحياة ابن شهيد ارتباط وثيق بالتطورات السياسية التى مرت بها قرطبة فقد كان ابن شهيد مواليا للعامريين ينعم فى خيراتهم ويستظل بظلهم وكان الناس يعيشون فى دعة وسلام حتى شبت نيران الفتنة عام ٣٩٩ هـ على يد المهدى

---

(١) المقرى . جـ ١ ص ١٥٥
(٢) " . جـ ١ ص ٤٦٢

الذى استطاع ان يتخلص من الدولـة العامرية بقتل عبد الرحمن بن ابى عامر ، وتسلم السلطة فى قرطبـه ، ولكن المستمين باللـه — وهو اموى آخر — لـم يمهـل المهدى فى الخلافـه فقد تزعم البرابرة الذين تحالفوا مع النصارى وقتـلوا اهل قرطبـة فى وقعة " منيتـش " التى هرب بعدها المهدى ثـم استعان بالافرنجـة وعساكـر الثغـور ودخل قرطبـة من جديد ، ولكـن جيشـه لم يتحمـل بقاءه فقتلوه ونصبـوا هشاما المؤيد ، ولكن المستعـين عاد فملك الأمـر ، وفى تلك الآونـة كان انصار العامريين يكاتبون علىّ بن حمود فذكروا له ان المؤيد ترك له عهدا بالخلافه مما دعاه الى دخول قرطبة وقتـل المستعين فانتظم الأمـر لبنى حمّـود (١) .

هـذه لمحـة موجـزة عن تلك الفتنـة الشنيعة (٢) التى بليت بها قرطبـة مما ادى الى خراب قصورها ودمار حصونها وقتل مشايخها وعلى رأسهم امام جامـع قرطبـه سعيد بن منذر بن سعيد (٣) ، فقد كان لهذه الفتنة اثر سئ على العلم والعلماء ومنهم ابن شهيد الذى يقول فى هذا المضمار (٤) : " وان الفتنة نسـخ للاشياء ، من العلوم والأهـواء ، ترى الفهم فيها بائر السلعة ، خاسـر الصفقـة يلمع باعين الشنآن ، ويستثقل بكل مكان . هذا دأبنا وحربنا . "

---

(١) انظر هذه المعلومات فى ابن عذارى . البيان المغرب " جـ٣ ص١٠٤ وما بعدها
(٢) انظر عبد الواحد المراكشى . المعجب فى تلخيص اخبار المغرب " القاهره ١٣٨٣هـ — ١٩٦٣م " تحقيق الاستاذ محمد سعيد العريان ص ٨٦ .
(٣) ابن حزم الظاهرى . طوق الحمامه " المكتبه التجاريه بمصر ١٣٨٦هـ١٩٦٧م تحقيق الاستاذ حسن كامل صيرفى ص ٤٥ .
(٤) ابن بسام ١/١ ص ١٧٩

وفى هذه الاثناء دبت الى ابن شهيد ـ ايام العلويين ـ " عقارب برئت بها منه اباعد واقارب ، واجبه بها صرف قطوب ، وانبرت اليه منه خطوب نبالها جنبه عن المضجع " هكذا عبر عنها ابن خاقان (١) ، فقال قصيدته المشهوره وهو بذلك السجن (٢) :ـ

قريب بمحتل الهوان بعيد * يجود ويشكو حزنه فيجيد

الى ان يقول :

فراق وسجن واشتياق وذلة * وجبار حفاظ على عتيد

فمن مبلغ الفتيان أنى بعدهم * مقيم بدار الظالمين طريد !

ولكن من الجدير بالذكر انه كانت لابى عامر ابن شهيد حظوة عند بعض الامراء الذين تولوا قرطبة امثال ابى عامر ابن المظفر (٣) فنراه يمدحه بقوله :ـ

جمعت بطاعة حبك الاضداد * وتألف الافصاح والاعياد

كتب القضاء بان جدك صاعد * والصبح رق ، والظلام مداد

وكان له اتصال ايضا بالمستعين بالله (٤) ومدحه بعدة قصائد منها قوله : يهنئه بالربيع :ـ

واتاك بالنيروز شوق حافر * وتطلع للزور غب تطلع

وافاك فى زمن عجيب مونق * وأتاك فى زهر كريم ممتع

فانظر الى حسن الربيع وقد جلت * عن ثوب نور للربيع مجزع

---

(١) ابن خاقان ، المطمح ص ٢٠
(٢) يعقوب زكى ، الديوان ص ٩٩ ـ ١٠٠
(٣) " " " ص ٥٢
(٤) ابو الوليد الحميرى ، البديع فى وصف الربيع " المطبعة الاقتصاديه ، الرباط ١٣٥٩ هـ ـ ١٩٤٠م اعتنى به الاستاذ ، هنرى بيريس ، ص ٣٥ ـ ٣٦

ولكن فيما يبدو أنه قد سعى الواشون بينه وبين هذا الخليفة مما ادى الى سوء العلاقة بينهما (١) يقول ابن شهيد : " أما ابو محمد ، فانتضى علىّ لسانه عند المستمين ، وساعدته زرافة استهواها من الحاسدين " اما يحى بن حمود المعتلى بالله فقد كانت بينه وبين ابن شهيد صداقة متينة ومدحه بقصائد عديدة حتى انه فكر باللحاق به عندما خرج من قرطبه الى مالقه (٢) يقول في مطلع احدى قصائده :ـ

أرى أعينا ترنو الى كأنما * تلوز منها جانبىّ أراقم

واذا كنا نراه مجرد مادح لمن سبق من الخلفاء فانه قد وصل الى درجة الوزارة عند الخليفة (٣) المستظهر بالله والذى لم تدم خلافته سوى سبعة واربعين يوما فقط وبذلك لم يتمتع ابن شهيد بتلك الوزاره مدة كافية من الزمن حتى يرضى طموحه الذى كان يلازمه .

اما مع المعتد بالله فانا نجده نديما من ندمائه كما يقول ابن الحناط الكفيف عندما سئل عن هذا الخليفه فقال (٤) : " يكفى من الدلالة على اختياره أنه استكتبنى واتخذ ابن شهيد جليسا !! وكان ابن الحناط اعمى وابن شهيد اصم . "

---

(١) ابن بسام ١ / ١ ص ٢٣٣
(٢) " " ١ / ١ ص ٢٧٥ ، الديوان ص ١٥٣
(٣) انظر المقرى ج ١ ص ٤٨٨
(٤) ابن سعيد . ص ١٢٣ .

من كل هذا يتبين لنا أنه كان للسياسة أثر فعال على حياة ابن شهيد فكما ذاق حلاوة الوزارة ، تجرع مرارة السجون فعبر عن ذلك في شعره ونثره .

شيوخـه :

جلس ابن شهيد الى الاساتيذ فى اول حياته كما يقول هو (١) ولكنا لم نعثـر على ايـة اشارة تدل على ان له شيوخا معروفين تلقى على ايديهم العلـم والادب • وفيما يبدو أنه تلقى أكثر علمه عن طريق الاستفادة من ابيه ومن الكتـب التى كان يقرؤها (٢) وارتياد تلك المجالس الادبيـه التى تعتبر بمثابة ندوات ومحاضرات علميـه •

وفى الواقع ان عدم معرفة شيوخ ابن شهيد الصقت به عيبا عند ناقديـه فى ذلك الوقت كما يقول فى رسالة " التوابع والزوابع " (٣) على لسان ابن الافليلس احد اعدائه : " فتى لم اعرف على من قرأ " (٤) مما يدل على ان هذا كـان يضايقه جـدا •

لكن ابن شهيد افاد كثيرا من صديقه وحميمـه ابى محمد ابن حزم الذى كـان يلتقى معه دائما للتباحث فى المسائل العلميه • وكان كل منهما معجبا بما عنـد

(١) ابن بسام ١/١ ص ٢١١
(٢) هذا يخالف ما ذهب اليه ابن حيان من ان ابن شهيد كان قليل الاقتنـاء للكتب ولكن فى حقيقة الامر ان الرجل من خلال كتاباته وثقافته العامه يـدل على انه مثقف وقرأ كتبا ليست قليلة • والشك الذى تطرق الى ابن حيـان مصدره نص ابن شهيد الذى يقول فيه : " ويسير المطالعه من الكتب يفيـد فى ٢٢ ابن بسام ص ٢١١ • ولكن هذا لا يعطى الدليل القاطع على أن ابـن شهيد لم يقرأ كتبا ثقافيـه •
(٣) انظر ترجمته فى ابن بسام • الذخيره ١/١ ص ٢٤٠ •
(٤) ابن بسام ١/١ ص ٢١١ •

(١)
الآخر فيتبادلان الزيارات الوديه كما يحكى لنا المقرى : " وحكى ان الحافظ ابا محمد بن حزم قصد أبا عامر ابن شهيد في يوم غزير المطر والوحل شديد الريح ، فلقيه أبو عامر ، وأعظم قصده على تلك الحال ، وقال له يا سيدى ، مثلك يقصدني في مثل هذا اليوم : فانشده ابو محمد ابن حزم بديهيا :ـ

فلو كانت الدنيا دونك لجة * وفي الجو صعق دائم وحريق
لسهل ودى فيك نحوك مسلكا * ولم يتعذر بي اليك طريق"

(٢)
ومن اصدقائه ايضا الاديب القدير أبو المغيره بن حزم الذى اشتهر بالكتابة وكان شاعرا مجيدا يقول عنهما ابن خاقان : (٣) " وكان هو وابو عامر ابن شهيد خليلي صفاء ، وحليفي وفاء ، لا ينفصلان في رواح ولا مقيل ، لايفترقان كمالك (٤) وعقيل ."

---

(١) المقرى . جـ ٢ ص ٨٣
(٢) انظر ترجمته في الحميدى . ص ٢٩١
(٣) ابن خاقان . المطمح ص ٢٢
(٤) مالك وعقيل هما نديما جذيمة الابرش اللذان اتياه بابن اخته عمرو بن عدى الذى يقال ان الجن استطارته فقال لهما جذيمة : " احتكما فلكما حكمكما . قالا : منادمتك ما بقيت وبقينا . قال : ذلك لكما . فضرب بهما المثل قال ابو خراش الهذلى :
الم تعلمى أن قد تفرق قبلنا * خليلا صفاء مالك وعقيل
انظر الاغانى لابى الفرج الاصفهانى " دار الثقافة بيروت ١٩٥٨م " تحقيق عبد الستار حزاج جـ ١٥ ص ٢٥١ .
ويقول متمم بن نويره في رثاء اخيه مالك :
وكنا كندماني جذيمة حقبة * من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
ابو زيد القرشي جمهرة اشعار العرب " دار نهضة مصر القاهره ط ١ " تحقيق على محمد البجاوى جـ ١ ص ٧٤٩ .

احتك ابن شهيد بالادباء والعلماء والشعراء مما ادى الى صقل موهبته وافاده فائدة كبيرة نستشف ذلك من خلال قصائده الرائعة وادبه الجيد .

وفى الواقع ان الذى يهمنا هو تقدير ادب ابن شهيد نفسه واما من ناحية عدم معرفة شيوخه فهذا لا ارى فيه اى غضاضة عليه فكم من انسان ضحل الثقافة عديم العلم وشيوخه من العباقرة العظماء .

آثـــــاره :ـ

١ـ " كتاب كشف الدك وايضاح الشك " (١) وهو مفقود ولكن فيما يبـــــدو أنه فى علم الحيل والخرافات (٢) .

٢ـ " حانوت عطار " وهو مفقود ايضا الا انه توجـد منه بعض النصـــــوص فى جذوة المقتبس (٣) ، والمغرب (٤) ، واحكام صنعة الكــلام (٥) . وذكــــر (٦) فى بعض الكتب باسم " حانوت العطار " . وهو كتاب ادبى نقدى يقـــول عنه الدكتور احسان عباس (٧) : " فانه لم يصلنا ولكن الحميدى نقل عنـــــه فى " جذوة المقتبس " وتـدل نقوله على ان الكتاب تراجم لشعــــراء الاندلس ، فهو سابـق لكتاب " الانموذج " فى هذا المضمار " .

---

(١) ابن خلكان . جـ ١ ص ٩٨
(٢) يقول حاجى خليفه : " علم كشف الدك ... هو علم تعرف منه الحيل المتعلقة الصنائع الجزئيه من التجارات وصنعة السمن واللازورد واللعل والياقوت وتغريــر الناس فى ذلك ولما كان مبناه محرما اضربنا عن تفصيله ... كشف الــــدك وايضاح الشك ـ لأبى عامر احمد بن عبد الملك الاندلسى المتوفى سنة كتاب مشهور فى علم الحيل والشعبذة . كشف الظنون " مكتبة المثنـــــــى بغداد " جـ ١ ص ١٤٨٩ .
(٣) الحميدى . ص ٤٠١
(٤) ابن سعيد . ص ٨٥
(٥) الكلاعى . ص ٤٧
(٦) ابن دحيــه المطرب . ص ١٦٠ ، حاجى خليفه . كشف الظنون جـ١ صـ ٦٢٤
(٧) د. احسان عباس . تاريخ النقد الأدبى عند العرب ص ٤٧٦

ولكن فى الواقع ان كتاب " حانوت عطار " لم يكن مقتصرا على شعراء الاندلس ـ كما يقول الدكتور ـ وانما تكلم المؤلف فيه عن شعراء المشرق مثل ابى تمام الطائى وابى الطيب المتنبى والدليل على ذلك قول الكلاعى (١) : " ان اختيارى القصيدة : ان تكون نحو الاربعين بيتا ، لأن الطول فى الغالب مملول . وهذا العدد من ابيات القصيده كان غاية الطائى والجعفى فى اكثر قصائدهما . وربما زعم بعضهم ان ذلك من هذين الفحلين لضيق عطن . وقد اشار الى شئ من هذا ابو عامر فى : حانوت عطاره . "

٣ـ رسالة " التوابع والزوابع " (٢) وهو العمل الذى اكسب ابن شهيد شهرة كبيرة فى الوسط الادبى ولعل ذلك راجع الى اقتران هذه الرسالة برسالة " الغفران " للفيلسوف العربى ابى العلاء المعرى .

ورسالة " التوابع والزوابع " رحلة خيالية الى باطن الارض استعرض ابن شهيد من خلالها آراء كبار الادباء العرب وجعلهم يعترفون به كشاعر واديب بل انه فى بعض الاحيان يرى انه متفوق عليهم .

والرسالة محشوة بالملاحظات النقدية الهادفه والتى سوف نعرض لها فى مكانها المناسب ان شاء اللـه .

ومن الملاحظ ان الباحثين ابدوا واعادوا فى قضية ايهما اسبق رسالة " التوابع والزوابع " أم " رسالة الغفران " لأن كلا الاديبين عاش فى عصر واحد وقام

---

(١) الكلاعى . احكام صنعة الكلام ص ٤٧
(٢) وتسمى ايضا " شجرة الفكاهة " انظر الحميدى ص ٣٧٤ .

بحمل متشابه من حيث الفكرة ، فاختلفت الآراء وتعددت وجهات النظر وكثـــرت الاستنتاجات حول هذا الموضوع.

وسواء أكان المعرى سابقا على ابن شهيد أم العكس فان ذلك لا يقلل مـــن شأن احدهما لأن لكـل منهما مجالـه الخاص به وشخصيته المستقلة التى تميــز ه عن الآخـر . ونستطيع ان نلخص ذلك فى ثلاث نقاط :ـ

أ ـ ان فكرة الخروج عن هذا العالم اقدم من المعرى وابن شهيد فقد ظهـــرت فى القرن الثالث الهجرى تحت تأثير قصة الاسراء والمعراج فى شكلها الاسطورى فظهرت فى الادب البهلوى الذى كان يكتب فى ذلك الوقت ويتمثل ذلـــك فى رسالة " اردای فيراف نامه " كما ظهرت فى الادب العربى فى كتـــاب " التوهم " للحارث بن اسد المحاسبى المتصوف المشهور.

ب ـ ان موقف ابن شهيد من رحلته يختلف عن موقف المعرى من رحلته . فابـــن شهيد يرحل الى عالم الجن وهو عالم دنيوى فى حين ان رحلة المعرى الـــى الجنة وهى عالم اخروى . ثم ان ابن شهيد لا يؤمن بوجود العالم الـــذى يتحدث عنه كما يظهر ذلك من رسالته فى حـين ان المعرى كان يؤمن بوجـود الجنة او على الأقـل يجارى الايمان العام بوجودها لدى قرائه.

جـ ـ ان المخلوقات الموجودة فى عالم ابن شهيد لها طابعها الخاص وهو الالهـــام الذى يقيم صلة خاصة بينها وبين بنى البشر . فى حـين ان الموجودات فـــى عالم الآخـره الذى صوره المعرى ليست لها صلة خاصة بالناس بل ان بعضهـــا هم الناس الذين ماتوا قبل كتابة الرسالـة.

ومما يجدر ذكره ان رسالة " التوابع والزوابع " (١) لم تصلنا كاملة وانما ذكرت فصول منها فى كتاب الذخيرة وقد جمعها (٢) الاستاذ بطرس البستانى مع دراســة تاريخيــه عن حياة ابن شهيد فى كتاب مستقل مطبوع٠

٤ـ " ديوان ابن شهيد " (٣) : جمع ديوان ابن شهيد وحققه الاستاذ يعقوب زكــى فى رسالة دكتوراه ـ كما ذكر فى المقدمه ـ وصدره بدراسة تاريخية عـــن جوانب من حياة ابن شهيد ٠

وجمعه ايضا الاستاذ " شارل بلات " (٤) عام ١٩٦٣م وكتب مقدمته الاستــاذ بطرس البستانى ٠

٥ـ " الرسائل النقديه " وتعداهم عمل قام به ابن شهيد لأن فيها آراء جديدة واستنتاجات مبتكرة يرجع الفضل فيها الى ابن شهيد وهذه الرسائل ســـوف نعالجها بالتفصيل فى الفصول الخاصــه بالنقد ٠ والقسم الأكبر منها فـــى كتاب الذخيرة لابن بسام٠

---

(١) ابن بسام ١/١ ص ٢٣٨

(٢) بطرس البستانى ٠ رسالة " التوابع والزوابع " " دار صادر بيروت ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م "

(٣) الاستاذ يعقوب زكى ٠ ديوان ابن شهيد " دار الكتاب العربى القاهره " راجعه د : محمود مكى ٠

(٤) شارل بلات ٠ ديوان ابن شهيد " دار المكشوف بيروت ١٩١٣ م ط ١ "

٦ـ " الرسائل الادبيه " . وهناك رسائل اخرى لابن شهيد يصف فيها البرد والنار ، ويصف الحلوى ، والبرغوث ، والماء ، والثعلب ، والبعوضه وغير ذلك. وله رسائل اخرى الى الخلفاء والوزراء . ذكرت كل هذه الرسائل في الذخيره واليتيمه وغيرهما من الكتب.(١)

---

(١) يذكر الاستاذ محمد ابو الفضل ابراهيم محقق كتاب " بدائع البداهه " العلى ابن ظافر في فهرس الكتب ص ٤٨٨ ان لابن شهيد كتابا يسمى " الغرائب الماضيه " وعندما رجعنا الى النص في نفس الكتاب ص ٣٥٤ وجدنا المؤلف يقول : " فكتب الوزير ابو مروان عبد الملك بن شهيد والد الوزير ابى عامر احمد صاحب الغرائب الماضيه في هذا الكتاب. "

والمقصود من ذلك الاشادة والاطراء على ابى عامر ليس اكثر من ذلك . ولكن فيما يبدو ان الامر اختلط على المحقق فظن ان المؤلف يسمى كتابا لابن شهيد بهذا الاسم .

مقومات شخصيته :ـ

كان ابن شهيد أصم ويعانى كثيرا من تلك العاهة التى قعدت به عن منصب الكتابه كما يقول (١) هو بل انها اصبحت مجالا للتندر به والحط من شأنه عند حاسديه امثال ابن الحناط الاعمى الذى يقول حينما سئل عن هشام المعتد (٢) : " يكفى من الدلالة على اختياره انه استكتبنى واتخذا بن شهيد جليسا !! وكان ابن الحناط اعمى وابن شهيد اصم ."

كذلك كان ابن شهيد رجلا أطلس وهو الذى يميل الى السواد يقول فى رسالة " التوابع والزوابع " (٣) : " فتبسم الى وقال : أهكذا انت يا أطيلس ، تركب لكل نهجه ، وتمح اليه عجبه ؟ فقلت : الذئب اطلس ، وان التيس ما علمت ! ."

وما يتصف به ابن شهيد رداءة الخط (٤) ولكنه يبرر ذلك بقوله : " ادام الله يا أخى حفظك ، وسدد لفظك ولحظك . بلغنى ـ اعزك الله ـ أنك عبتنى بغموض الخط وضعف حروفه ، ولم تعلم ان خطوط العلماء ضعيفه ، وان خطوط الخلفاء لطيفة ، وان ذلك من معالم السؤدد بينهم ، ودلائل الكرم فيهم .

---

(١) ابن بسام ١/١ ص ٢٠٨
(٢) ابن سعيد . ص ١٢٣
(٣) ابن بسام . ١/١ ص ٢٣٠
(٤) الكلاعى . ص ٤٧

وأن ضعف الخط تميمة علقت على جيد اللفظ ، وأن منزلته من الكلام منزلة الكلف من بدر التمام . " .

ولكن هذا الرأى جانب الصواب لأن فيه شيئا من المبالغه .

اما اخلاق ابن شهيد فنستطيع ان نلخصها فيما يلى :ـ

١ـ لهوه ومجونه : يقول ابن حيان : " (١) رجل غلبت عليه البطالة فلم يحفل فى آثارها بضياع دين ولا مروءة ، فحط فى هواه شديدا حتى أسقط شرقه ، ووهم نفسه راضيا فى ذلك بما يلذه ، فلم يقصر عن مصيبة ، ولا ارتكاب قبيحة . "

لكن يجب ان نعلم ان العصر الذى عاش فيه ابن شهيد كان له دخل كبير فى مجونه ولهوه واستهتاره بالقيم والمبادئ . كذلك ناحية اخرى لها اثرها الفعال فى ذلك وهو " الصمم " الذى يعانى منه هذا الرجل مما دعاه الى التنفيس عن ذلك بشرب الخمر وقضاء الوقت بين الندماء والوجوه الحسان يقول ابن شهيد عن اصدقائه : " اجل ما بيننا ارتضاع الكاس ، وشم الآس ، والجرى فى حافات الصبا ، والصيد بالسكر فى الربى . "

٢ـ الكرم : ـ كان ابن شهيد كريما جوادا يبذل العطاء للمستحقين ويساعد ذوى الحاجه وهناك بعض القصص التى تحكى كرمه وجوده من ذلك ما رواه ابن دحيه (٢) عن قصة الرجل الذى اتى من طليطله هو وابناؤه يلتمسون المساعده والعون من الكرماء فارشده الناس الى بيت ابى عامر ابن شهيد

---

(١) ابن بسام ١/١ ص ١٦٢
(٢) ابن دحيه ، ص ١٥٨ ـ ١٥٩

فاجزل له العطاء فمنحه اموالا واعطاه دارا وملابس فاخره الى غير ذلك • وكل هذا يعطينا صورة صادقة عن كرم ابن شهيد الذى ملأ الآفاق واشتهر بين الناس (١) • ولكن آفة الكرم الفقر ــ كما يقال ــ فقد شارف ابن شهيد الاملاق لأن البطالة كانت غالبة عليه ولكنه بقى على هذه الحال (٢) " لايليق شيئا ولاييأس على فائت " حتى مات رحمه الله•

٣ـ العزة والافتخار : كان ابن شهيد يعتز بنسبه فى اكثر الاحيان ويفاخر باسرته ومجد اجداده يقول مخاطبا نفسه (٣) : " ثكلتك المكارم يا ابن الاكارم ! الست من اشجع فى الملا ء ومن شهيد فى الذرى • "

ويقول كذلك (٤) :ـ

والنفس نفس من شهيد سنخها * سنخ غذت منه الملا بلبانها

ويقول ايضا (٥) :ـ

من شهيد فى سرها ثم من أشـ * ـجع فى السر من لباب اللباب

ومن جيد قوله فى هذا المضمار (٦) :ـ

ان الكريم اذا نالته مخمصة * ابدى الى الناس شبعا وهوطيان

يحنى الضلوع على مثل اللظى حرما * والوجه غمر بماء البشر ملآن

ولو تصفحنا كتابات ابن شهيد لرأيناه فى اكثر من موضع يقول (٧) : " تتفضت تنفض

---

(١) ابن بسام ١/١ ص ١٦٢
(٢) الحميدى •ص ١٣٦
(٣) ابن بسام ١/١ ص ١٩٥
(٤) الديوان • ١٦٧
(٥) " ٨٧
(٦) ابن دحية ١٣٥
(٧) ابن بسام ١/١ ص ١٧٢

العقاب ، وهزتنى آريحيات الشباب ، وقام بوهمى أنى ملأت الأرض بجسمى فأومأت الى الجوزاء بكفى أن تأملى ."

ولكن هذه السجيه بالذات اثارت عليه غضب خصومه وحاسديه مما جعلهم يهاجمونه مهاجمة عنيفة ويقذعونه بشديد القول ومن اولئك ابن الحناط الكفيف الذى يقول (١) : " وأخونا أبو عامر يسهب نثرا ، ويطيل نظما ، شامخا بأنفه ، ثانيا من عطفه ، متخيلا أنه قد احرز السباق فى الآداب ، واوتى فصل الخطاب ."

ومن يقرأ رسالة " التوابع والزوابع " يجد ان هذا الشعور لا يكاد يفارق ابن شهيد مع اكثر من قابلهم من توابع الشعراء والكتاب فيخرج غالبا لا مغلوبا .ويمكن تفسير ذلك باحد امرين :

اما لأنه حرم من المناصب التى كانت لآبائه واجداده فاحس بالظلم مما جعل عنده رد فعل اليم اراد ان يغطيه بكبريائه وفخره .

او انه من غرور العلماء الذى جعله ينظر الى من حوله بأنهم اقل منه درجة وهذا مالا يستحسن من العالم الجليل .

ولكن على اى حال اذا كان لهذه الصفة مساوئ فان لها محاسن ايضا يقول الدكتور احسان عباس (٢) : " وابن شهيد اقرب الى عالم النقد من صاحبه (٣) لأن اعجابه

---

(١) ابن بسام ١/١ ص ٣٨٥

(٢) الدكتور احسان عباس . تاريخ النقد الادبى عند العرب " دار الامانه بيروت : ١٣٩١م ط ١ " ص ٤٧٦ .

(٣) يقصد ابا محمد ابن حزم الفقيه المعروف.

الذاتي بنفسه وضعه موضع التفرد — في نظر نفسه عند ازاء الآخرين ٠٠٠٠٠ ولهذا كان العامل الموجه في مذهبه النقدي هو ايمانه بطريقته في الشعر والنثر ٠ "

٤ـ حصافة الرأي : ـ كان ابن شهيد حصيف الرأي صادق المشوره يقول ابن حيان :[1] " كان من اصح الناس رأيا لمن استشاره ، وأضلهم عنه في ذاته ٠ "

وهذا يدل على انه كان رجلا مرموقا يستشيره الناس في امورهم وشؤون حياتهم وتعبير ابن حيان بالضلالة في ذاته لأنه كان يعاقر الخمر ويجاهر بالمنكر ٠

٥ـ الفكاهة : ـ اكثر من ترجم لابن شهيد[2] وصفه بأنه كثير الهزل لاذع النكته سريعها ويتضح ذلك من خلال شعره ونثره الذي يميل في اكثر الاحيان الى الفكاهة ٠

بل ان اسرة ابن شهيد اشتهرت بهذه الميزه كما[3] " يقول بيريس ان ادب هذه الاسرة يتميز بطابع يسميه Huoristique (الميل الى الدعابه) ٠ "

وقد يكون لحياة ابن شهيد دخل كبير في اتسامه بهذه السمه لأنه كما مر بنا عاش حياة لاهية ماجنه بين اصدقاء يسعون وراء المرح والسرور ومن المعروف ان مثل هذه الاجتماعات تحتاج الى الفكاهات والنوادر التي تضفي على المجالس الفرح والمتعه ٠

---

(١) ابن بسام ١/١ ص ١٦٢
" من العجيب في تشابه الحظوظ أن النقاد الفرنسيين يصفون " لافونتين " بهذا الوصف فيذكرون (انه كان من اصح الناس رأيا لمن استشاره واضلهم عنه في ذاته) وما اكثر ما يتشابه رجال الأدب " الدكتور زكي مبارك جـ ٢ ص ٣٧١
(٢) ابن بسام ١/١ ص ١٦٢
(٣) يعقوب زكي ٠ مقدمة الديوان ص ١٣

٦ــ حبه لقرطبه : لقد كان ابو عامر يحب قرطبة حبا شديدا لأنها مسقط رأسه ومرتع صباه وموطن ذكرياته وقيل انه لم يفارقها الا مرة واحده وعاد اليها • وحتى بعد الفتنة وبعد ان صارت خرابا ودمارا ظل ابن شهيد متمسكا بحبه لها ويسميها العجوز (١) البجراء (٢) يقول فى ذلك :

عجوز لعمر الصبا فانيه ✱ لها فى الحشا صورة الغانيه
زنت بالرجال على سنها ✱ فياحبذا هى من زانيه
تريك المقول على ضعفها ✱ تداركما دارت الساقيه
فقد عنيت بهواها الحلو ✱ م فهى براحتها عانيه
تقاصر عن طولها قونكة (٣) ✱ وتبعد عن غنجها دانيه
ترديت من حزن عيش بها ✱ غراما فيا طول احزانيه

---

(١) ابن بسام ١/١ ص ١٧٥
(٢) الديوان • ص ١٦٨
(٣) هذا الشطر مكسور حتى فى الأصل وهو الذخيره ويستقيم اذا حذفنا التاء المربوطه من آخره فنقول : " قونك " ولعلها كلمة اسبانيه استعملها ابن شهيد •

علته ووفاتـــه :ــ

(١)
يقول ابن بسام : " ولما طال بأبى عامر ألمه ، وتزايد سقمه ، وغلب عليه الفالج (٢) الذى عرض له فى مستهل ذى القعدة من سنة خمس وعشرين وأربعمائـــة لم يعدمه حركـة ولاتقلبا ، وكان يمشى الى حاجته على عصا مرة ، واعتمادا علـــى انسان مرة ، الى قبل وفاته بعشرين يوما ، فانه صار حجرا لا يبرح ولا يتقلـــــب ، ولا يحتمـل أن يحرك لعظيم الأوجـاع ، مع شدة ضغط الأنفاس وعدم الصبـــر ، حتى هم بقتل نفسه ، وفى ذلك يقول من قصيـدة :

انوح على نفس واندب نبلهـــا	*	اذا انا فى الضراء أزمعت قتلها
رضيت قضاء الله فى كل حالــة	*	على واحكاما تيقنت عدلهـــا
اظل قعيد الدار تجنبنى العصا	*	على ضعف ساق اوهن السقم رجلها
وأنعى حسيسات ابن آدم عامـلا	*	براحــة طفل أحكم الضر نصلهــا
الارب خصم قد كفيت ، وكربـة	*	كشفت ، ود أركنت فى المحل وبلها
ورب قريض كالجريض بعثتـــه	*	الى خطبة لا ينكر الجمع فضلهــا
فمن مبلغ الفتيان أن أخاهـــم	*	أخو فتكة شنعاء ما كان شكلهــا ؟
عليكم سلام من فتى عضه الـردى	*	ولم ينس عينا أثبتت فيه نبلهــا
يبين وكف الموت يخلع نفســـه	*	وداخلها حب يهون ثكلهـــا "

---

(١) ابن بسام ١/١ ص ٢٨١ ـ ٢٨٢ .

(٢) يقول الحميدى ان علتــه " ضيـق النفس والنفـخ " ص ١٣٦ وفيما يبدو أن جميـع هـذه الأمـراض قد تكالبت على ابن شهيد .

وضاق ابن شهيد بالحياة ذرعا فهدأ يخفف عن نفسه بمراسلة اصدقائه وشكوى الحال اليهم يقول الحميدى (١) : " أخبرنى ابو محمد على بن احمد (٢) قال : كتب الى أبوعامر بن شهيد فى علته بهذه الأبيات :—

ولما رأيت العيش لوى برأسه ⭑ وايقنت أن الموت لا شك لاحقى
تمنيت أنى ساكن فى غيابة ⭑ بأعلى مهب الريح فى رأس شاهق
أرد سقيط الحب فى فضل عيشتى ⭑ وحيدا واحسو الماء ثنى المفالق
خليلى من ذاق المنية مرة ⭑ فقد ذقتها خمسين قولة صادق
كأنى وقد حان ارتحالى لم أفز ⭑ قديما من الدنيا بلمحة بارق
فمن مبلغ عنى ابن حزم وكان لى ⭑ يدا فى ملماتى وعند مضايقى
عليك سلام الله انى مفارق ⭑ وحسبك زادا من حبيب مفارق
فلا تنس تأتينى اذا مافقدتنى ⭑ وتذكار أيامى وفضل خلائقى
وحرك له بالله من أهل فننا ⭑ اذا غيبونى كل شهم غرانق
عسى هامتى فى القبر تسمع بعضه ⭑ بترجيع سار أو بتطريب طارق
فلى فى ادكارى بعد موتى راحة ⭑ فلا تمنعونها علالة زاهق
وانى لأرجو الله فيما تقدمت ⭑ ذنوبى به مما درى من حقائق (٣) "

---

(١) الحميدى . ص ١٣٣

(٢) هو ابو محمد ابن حزم العالم المشهور صاحب المؤلفات المديدة .

(٣) رد ابن حزم على ابن شهيد قصيده على نفس البحر والقافيه مطلعها :

ابا عامر ناديت خلا مصافيا ⭑ يفيدك من دهم الخطوب الطوارق

انظر : الحميدى ص ١٣٤ .

ومن هذه القصيدة نستشف مدى الألم والشدة التي عاناها ابن شهيد (١) من مرضه حتى انه تمنى ان يكون في رؤوس الجبال وفسيح البرابرى يعيش عيشة بسيطة . والقصيدة تنبض بعاطفة الألم والحسرة.

ويبدو ان الرجل حينما ايقن بان الموت قد قرب منه اخذ يحاسب نفسه على مافرط في جانب ربه فتحول الى زاهد واعظ يلوم نفسه ويؤنبها (٢) يقول في ذلك :

تأملت ما افنيت من طول مدتي * فلم اره الا كلمحة ناظر

وحصلت ما ادركت من طول لذتي * فلم الفه الا كصفقه خاسر

وما أنا الا رهن ما قدمت يدى * اذا غادروني بين اهل المقابر "

وقبل ان يتوفى ابن شهيد اوصى ببعض الوصايا الغريبه التي تدل على ان الرجل ندم على ما فات فاراد أن يكفر عن ذنوبه ولو ببعض الشيء فمن وصاياه (٣) :

"أن يصلى عليه ابوعمر الحصار الرجل الصالح ، فتغيب اذ دعى ، وأوصى أن يصب عليه التراب دون لبن ولاخشب فاغفل ذلك . "

وان لم تنفذ الوصيتان السابقتان فقد نفذت بقية وصاياه وهو (٤) " أن يدفن

---

(١) يقول ابن خاقان : " واحسب ان الله اراد بها تمحيصه ، واطلاقه من ذنب كان قنيصه ، فطهره تطهيرا ، وجعل ذلك على المفوله ظهيرا . " ص ٢١

(٢) ابن بسام ١/١ ص ٢٨٥

(٣) الحميدى ص ١٣٦

(٤) ابن بسام ١/١ ص ٢٨٧

(١)
بجنب صديقه ابى الوليد الزجالى ، ويكتب على قبره فى لوح رخام هذا النثر والنظم :

بسم الله الرحمن الرحيم " قل هو نبأ عظيم انتم عنه معرضون " هذا قبر أحمد بن عبد الملك بن شهيد المذنب ، مات وهو يشهد أن لا اله الا الله ، وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وأن الجنة حق ، وأن النار حق ، وأن البعث حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من فى القبور .

مات فى شهر كذا من عام كذا . ويكتب تحت هذا النثر هذا النظم :
(٢)
يا صاحبى قم فقد أطلنا * انحن طول المدى هجود ؟
فقال لى : لن نقوم منها * ما دام من فوقنا الصعيد
تذكركم ليلة لهونا * فى ظلها والزمان عيد ؟
وكم سرور همى علينا * سحابة ثرة تجود ؟
كل كأن لم يكن تقضى * وشؤمه حاضر عتيد
حصله كاتب حفيظ * وضمه صادق شهيد
يا ويلنا ان تنكبتنا * رحمة من بطشه شديد
يا رب عفوا فأنت مولى * قصر فى أمرك العبيد "

---

(١) يقول المقرى انه دفن بحير الزجالى جوار صديقه ابى الوليد " انظر جا ١ ص ٦٣٥ " ولكن الحميدى يقول انه دفن بمقبرة ام سلمه [انظر ص ١٣٥]

(٢) يقصد صاحبه ابا الوليد الزجالى الذى دفن الى جواره .

" كان ابو عامر كثيرا ما كان يخشى صعوبة الموت ، وشدة السوق ، فيسر الله عليه ، وما زال يتكلم ويرغب الى الله أن يرفق به ، ويكثر من ذكره ، وقد أيقن بفراق الدنيا الى أن ذهبت نفسه رحمه الله يوم الجمعة آخر يوم من جمادى الأولى سنة ست وعشرين وأربعمائة (١) . (٢) ولم يشهد على قبر أحد ما شهد على قبره من البكاء والعويل . "

(٣)
وصلى على ابن شهيد " رئيس قرطبه ابو الحزم جهور بن محمد بن جهور الكلبى " (٤) " ولم يعقب وانقرض عقب الوزير (ابيه) بموته . "

(٥)
وانشد على قبر هذا الاديب من المراثى الشىء الكثير منها قول ابى الاصبغ القرشى من قصيدة طويله :

شهدنا غريبات المكارم والعلا * تبكى على قبر الشهيدى احمدا
وما زال اهل الدين والفضل والتقى * عكوفا به حتى حسبناه مسجدا
أريد بسقيا الغيث احياء حفرة * كدرنا بها نجم العلا المتوقدا (٦)

---

(١) ابن بسام ١/١ ص ٢٨٨
(٢) قال الحميدى : " ودفن يوم السبت ثانى يوم وفاته " ص ١٣٥
(٣) ابن دحيه . ص ١٦٠
(٤) الحميدى . ص ١٣٦
(٥) ابن بسام ١/١ ص ٢٨٨
(٦) بقية القصيدة . انظر ابن بسام ١/١ ص ٢٨٨

(١)
وممن انشد على قبره مرثية ابو حفص ابن برد الاصغر يقول :

بفيك التوب من ناع نماني * نعى غيرى الى وما عداني
وكيف ولم يسل طرفى بدمع * عليه ، ولم يجن له جناني

قال المقرى : " قال الرئيس ابو الحسن عبد الرحمن بن راشد الراشدى لمانعيت أبا عامر ابن شهيد الى ابى عبد الله الحناط الشاعر ، وقد عرف ما كان بينهما من المنافسه ، بكى وانشدنى لنفسه بديهة :

لما نعى الناعى أبا عامر * ايقنت أنى لست بالصابر
اودى فتى الظرف وترب الندى * وسيد الأول والآخر

---

(١) ابن بسام ١/١ ص ٢٨٩ وبقية القصيده :

لاية خصلة تبكيك عينى * ومالى بالحساب لها يدان
أللهمم المنوطة بالثريا * أم الشيم المهذبة الحسان ؟
ام الكرم الذى مازال يجرى * مع الأنواء فى طلق الرهان ؟
ام القلم الذى قد كان يجنى * من القرطاس نوار البيان ؟
ام الرأى الذى ما زال يغنى * عن السيف المهند والسنان ؟
شهدت لقد اصيب بنو شهيد * بقاطعة السواعد والبنان
به درجوا من الدنيا فبانوا * وكل ما خلا الرحمن فاني

" الفصـــــل الثانـــــى "

(مكانته الادبيـــــه)

كان ابن شهيد موضع اجلال وتقدير منذ القدم وعنـــد كبار الادباء الذيـــــن تكلموا عن شعراء الاندلس وكتابها .

وسوف نعرض هنا لتلك الأقوال التى قيلت فى ابن شهيد او بالاحرى الاحكام التى تبين مكانة هذا الاديب وعلو شأنه فنبدأ بقدماء النقاد : يقول ابو محمـــد بن حزم (١) : " ولنا من البلغاء احمد بن عبد الملك بن شهيد صديقنا وصاحبنا ، وهـــو حى لم يبلغ سن الاكتهال ، وله من التصرف فى وجوه البلاغة وشعابها مقـــدار يكاد ينطق فيه بلسان مركب من لسانى عمرو وسهـل (٢) . "

وقال عنه ابن حيان (٣) : " كان ابو عامر يبلغ المعنى ولايطيل سفر الكـــلام ، واذا تأملته ولسنه ، وكيف يجـر فى البلاغة رسنه ، قلت عبد الحميد فى اوانـــه ، والجاحظ فى زمانه . والعجب منه أنه كان يدعو قريحته الى ما شاء من نثره ونظمـــه فى بديهته ورويته ... وكان فى تنميق الهزل والنادرة الحارة اقدر منه على سائـــر ذلك . وشعره حسن عند اهل النقد ، تصرف فيه تصرف المطبوعين ، فلم يقصـــر عن غايتهم .

وله رسائل كثيرة فى فنون الفكاهة وأنواع التعريض والأهزال ، قصار وطـــوال ، برز فيها شأوه ، وبقاها فى الناس خالدة بعده . وكان فى سرعة البديهة وحضـــور

---

(١) المقرى . جـ ٣ ص ١٧٨

(٢) يقصد الجاحظ وسهل بن هارون .

(٣) ابن بسام ١/١ ص ١٦١ ـ ١٦٢

الجواب وحدته ، مع رقة حواشى كلامه ، وسهولة ألفاظه ، وبراعة أوصافه ، ونزاهة شمائله وخلائقه ، آيه من آيات الله خالقه . "

وقال ابن بسام (١) : " نادرة الفلك الدوار ، واعجوبة الليل والنهار ، ان هزل فسجع الحمام ، أوجد فزئير الأسد الضرغام ، نظم كما اتسق الدر على النحور ونثركما خلط المسك بالكافور ، الى نوادر كأطراف القنا الأملود ، تشق القلوب قبل الجلود ، وجواب يجرى مجرى النفس ويسبق رجع الطرف المختلس . "

ويقول ايضا (٢) : " وقد أخرجت من اشعاره الشارده ، ورسائله الباقية الخالدة ، ونوادره القصار والطوال ، وتعريضاته السائرة سير الامثال ، مما يحل له الوقور حباه ، ويحن معه الكبير الى صباه . "

وقال الحميدى (٣) : " من العلماء بالأدب ومعانى الشعر وأقسام البلاغة ، وله حظ من ذلك بسق فيه ، ولم ير لنفسه فى البلاغة أحدا يجاريه ، وله كتاب " حانوت عطار " فى نحو من ذلك ، وسائر رسائله وكتبه نافعة الجد ، كثيرة الهزل ، وشعره كثير مشهور . "

اما ابن ماكولا فقال عن ابن شهيد " يقال انه جاحظ الاندلس " (٤) وقال الثعالبى (٥) " فنثره فى غاية الملاحه ، ونظمه فى غاية الفصاحة . "

---

(١) ابن بسام ١/١ ص ١٦١
(٢) " " ١/١ ص ١٦٣
(٣) الحميدى . ص ١٣٣
(٤) الصفدى . الوافى بالوفيات " دار صادر بيروت ١٣٨٩هـ " جـ ٧ ص ١٤٤/١٤٥
(٥) الفتح بن خاقان . ص ١٦

(١)
ويقول عنه الفتح بن خاقان : " عالم باقسام البلاغة ومعانيها ، حائز قصب السبق فيها ، لا يشبهه احد من اهل زمانه ، ولا ينسق ما نسق من در البيان وجمانه ، توغل فى شعاب البلاغة وطرقها ، واخذ على متعاطيها مابين مغربها ومشرقها ، لا يقاومه عمرو بن بحر ، ولا تراه يغرف الا من بحر ، مع انطباع ، مشى فى طريقه بامد باع " .

(٢)
وقال عنه ابن دحيه فى المطرب : " وابو عامر هذا ارسخ اهل الاندلس قاطبة بالادب ، ينسل اليه من كل حدب ، ولم ير لنفسه فى البلاغة أحدا يجاريه ، ويساجله فى جميع العلوم ويباريه . "

وفى كل هذا دليل واضح على اننا امام شخصية علمية قديرة شغلت النقاد فترة من الزمن . بل ان ابن شهيد فى يوم من الايام كان يتمتع بلقب " اديب قرطبه "
(٣)
يقول ابن بسام عن الوزير احمد بن عباس : " ومن عجبه انه دخل قرطبه — ومنتهاها منتماه ، وهم بقية الناس — فحجب كبيرهم الشيخ أبا عمر بن أبى عبدة من غير عذر ، وما عرف عباس أبوه الا بخدمة ابن عمه ، وتنقص أديبهم أبا عامر ابن شهيد . "

لكن فى الواقع ان الا حكام السابقة وان كانت قد صدرت من علماء لهم وزنهم الثقافى والعلمى الا انها تفقد الجانب التطبيقى الذى نعتقد انه على درجة كبيرة من الاهمية فى ميدان النقد .

---

(١) الثعالبى . جـ ٢ ص ٤٩
(٢) ابن دحيه ص ١٥٨
(٣) ابن بسام ١/٢ ص ١٧٦

اما من حيث ربطهم بين الجاحظ وابن شهيد فعلى ما يبدو أنهم رأوا ان هناك تشابها بينهما وخاصة فى ناحيتين . الأولى منهما : ان كلا من الجاحظ وابن شهيد تكلم عن الطيور والحيوانات والحشرات وان كان هناك اختلاف كبير بين كل منهما لأن الجاحظ يعالج الموضوع من ناحية علمية بحته يهدف من ورائها الى فائدة القارئ .

واما ابن شهيد فيعالج ذلك من ناحية ادبية فقط وهدفه متعة القارئ .

والثانية : ميلهما الى اسلوب الفكاهة والهزل الساخر والنقد اللاذع ولكن مما لا شك فيه ان لكل منهما اسلوبه الخاص به الذى يميزه عن غيره .

ولكن من الملاحظ انه على الرغم من ذلك الاطراء والاشادة بابن شهيد وادبه فانه لم يسلم من مهاجمة الادباء وخاصة فى عصره فان لكل اديب مؤيدين ومعارضين ، يقول ابن الحناط الكفيف (١) : " وأخونا أبو عامر يسهب نثرا ، ويطيل نظما ، شامخا بأنفه ثانيا من عطفه ، متخيلا أنه قد احرز السباق فى الآداب ، وأوتى فصل الخطاب . "

اما ابو بكر المعروف (٢) باشكمياط (٣) فقد اتهم ابن شهيد بالسرقة الادبية فقال : " فقر حسان الا انه عثر عليها " مع العلم ان هذا لا يعد عيبا عند ابن شهيد كما سنرى فى فصول النقد ان شاء الله .

---

(١) ابن بسام ١/١ ص ٣٨٥
(٢) قيل ان رسالة التوابع والزوابع ارسلت اليه ولكن فى الحقيقه انها ارسلت الى ابى بكر بن حزم .
(٣) ابن بسام ١/١ ص ١٩٥

واذا كان قدماء الادباء قد عرفوا مكانة ابن شهيد الادبيه فاعطوه ما يستحق من الاجلال والتقدير فان المحدثين ايضا لم يجهلوا تلك المنزله التى يستحقها هذا الاديب فقد اشادوا بشعره ونثره ونقده يقول الدكتور احسان عباس : (١) " ليس فى الاندلسيين الذين درسنا شعرهم حتى عصر ابن شهيد من كان اكثر منه توقدا فى القريحة ، وأنفذ بصرا فى نقد الشعر . "

ويقول فى موضع آخر : (٢) " اما فى اصابة الحكم على من درسهم من الشعراء فانه ربما تفوق على ابن رشيق وابن شرف ، وربما لم يبلغ اى ناقد اندلسى آخر مبلغه فى ارهاف الذوق والاحساس بالجمال الفنى ، وقد اتخذ من شاعريته وسيلة للتعبير عن آرائه النقدية بطريق التصوير . "

وقال الدكتور زكى مبارك : (٣) " لاحظنا أن رسائله فى صناعة النقد والبيان تدل على أنه كان من أصفى الناس ديباجة ، وأسدهم رأيا ، واصدقهم فراسة اذا مضى يشرح مزالق الأفكار ومزلات العقول . "

اما الدكتور احمد هيكل (٤) فيقول عن نقد ابن شهيد : " لمحات نقديه ذكيه عظيمة الشأن . " وقيل انه : (٥) " أعظم من انبتت الاندلس من شعراء حتى ذلك الوقت . "

وقال الدكتور شوقى ضيف : (٦) " ومهما يكن فقد كان ابن شهيد اكبر اديب فى عصره . "

---

(١) الدكتور احسان عباس . تاريخ الأدب الاندلسى ص ٢٩٣

(٢) الدكتور احسان عباس . تاريخ النقد الادبى عند العرب " دار القلم . بيروت ط ٤ " ص ٤٨٤

(٣) الدكتور زكى مبارك . جـ ٢ ص ٣٨٦ ـ ٣٨٧ .

(٤) الدكتور احمد هيكل . ص ٣٩٤

(٥) الاستاذ يعقوب زكى . مقدمة الديوان ص ٦٥ (٦) د . شوقى ضيف : ص ٣٢٤ الفن ومذاهبه فى النثر العربى .

وتكلم الدكتور محمد رضوان الداية عن مكانته الادبيه فقال (١) : " آراء ابن شهيد النقدية — معظمها ان لم نقل كلها — صادرة عن وعى ورأى تجريبى لا رأى نظرى ."

وقال عنه الاستاذ احمد ضيف (٢) : " وكان ابو عامر من اعلم الناس متفننا فى علوم الأدب ، بارعا فى صناعة النظم والنثر . فكانت له منزلة رفيعة وابتكارات بديعه ، وأساليب راقية فى فنى المنظوم والمنثور ."

وقال ايضا : " ان ابن شهيد من افذاذ الادباء المفكرين الذين أنجبتهم حركة العقول والادراك فى الاندلس ."

ونستطيع القول بأن ابن شهيد اديب قدير استطاع ان يسد فراغا كبيرا فى ادبنا العربى استحق من اجل ذلك الثناء والتبجيل من الادباء قديما وحديثا . فهو بلاشك شاعر اجاد فى جميع اغراض الشعر المختلفة وان كان اكثر شعره فى المجون واللهو الا انا نرى فيه روح ابن شهيد المرحة خفيفة الظل وقد صاغه بأسلوب سهل رقيق قريب التناول ولكن فى بعض قصائده شيئا من الكلمات الغريبه وقد اشار هو الى شيء من ذلك .

وفى بعض الاحيان نجد فى شعر ابن شهيد نظرات تشاؤميه (٣) من الحياة

---

(١) الدكتور محمد رضوان الدايه . ص ٢٩٦ (٢) الاستاذ احمد ضيف ص ٤٣ ، ٥٩

(٢) يقول غرسيه غومس عن شعر ابن شهيد : " ولشعره فى بعض الاحيان رنة من الاسرار الغامضة ، وكأنها من نتاج العصور الحديثة " الاستاذ يعقوب زكى . مقدمة الديوان ص ٦٦

واهلها مع شئ من الحنين الى الماضى وخاصة بعد ان تقدمت به السن قليلا .

اما نثره فلم يبلغ المستوى الذى وصل اليه شعره ونقده لأن فيه شيئا من الغموض والتكلف والاهتمام بالالفاظ ورصفها والالتزام بالسجع فى اغلب الاحيان ، ومن المؤسف حقا على اديب قدير كابن شهيد ان تكون هناك هوة كبيرة بين كتاباته النثرية وبين نقده وشعره ولكن هذه هى الحقيقة التى لا هروب منها يقول الدكتور زكى مبارك (١) : " سئل ابو العلاء المعرى رأيه فى شعر ابن هانئ الاندلسى فأجاب : " رحى تطحن قرونا " وهو جواب حذق وذكاء ، فضلا عما فيه من روعة التصوير . وأخشى أن يكون الأمر كذلك فى نثر ابن شهيد ، فهو فى الأكثر جمجمة وقعقعة وقلقلة فى غير نفع ولا غناء . ويسؤونا والله أن يكون ذلك ما نرا ه فى نثر ذلك الرجل الذى نعتقد فيه دقة الفهم ، ورقة الطبع ، وسلامة الذوق "

اما نقد ابن شهيد فهو بلاشك قد بلغ المستوى الذى يستحقه من الاشادة والثناء من جمهور الادباء ويكفيه فخرا انه كان رائدا لبعض القضايا النقدية التى لم تكتشف الا فى هذا العصر كما سوف نوضح فى فصول النقد ان شاء الله .

هل كان ابن شهيد طبيبا ؟

ذكر الحميدى (٢) وغيره من المؤلفين (٣) ان ابن شهيد " كان له من علم الطب نصيب وافر " .

وكل ما بين ايدينا من آثار ابن شهيد لا تجعلنا نجزم جزما تاما انه كان طبيبا ولكن من الممكن انه كان يقرأ فى كتب الطب حتى الم الماما بسيطة عن فائدة بعض

---

(١) الدكتور زكى مبارك جـ ٢ ص ٣٧٨ (٢) الحميدى ص ١٣٦
(٣) انظر . الضبى ص ١٨٠ ، ياقوت الحموى معجم الادباء ص ، الامير شكيب جـ ٣ ص ٤٥٧

الاشياء وضررها ـ مثلا ـ كما هى الحال عند بعض المثقفين فى كل عصر • اذا اخذنا بعين الاعتبار ان الطب فى ذلك الوقت لم يصل الى درجة التعقيد التى وصلها الآن •

وليس بعيدا عن اذهاننا قصة المأمون حينما جلس على المائده وأخذ يصف فوائد الاطعمه الموجوده • فهل نستطيع القول بأن المأمون ليس له علم ولو بجزء يسير من الطب ؟ لا أظن ذلك •

ولكنا نجد استنتاجا غريبا عند الاستاذ البير حبيب مطلق حول هذا الموضوع يقول (١) : " وهؤلاء الذين يسميهم ابن بسام " الاطباء " لايمكن ان نفهم حسب تتبعهم الان فهمنا ان اللفظه تعنى الفلاسفه او المشتغلين بعلوم الأوائل • "

ولكن العرب ليسوا من الغباء بحيث يخلطون بين علمين مستقلين • كذلك اللغة ليست قاصرة عن مثل ذلك • ولكن " البير " لم يراع الفارق الزمنى بين ذلك العصر وهذا العصر فظن ان كلمة طبيب لا تطلق الا على من اختص فى علم الطب بتلك الاجهزة المعقده والادوات المتعدده فخرج الكلمه ذلك المخرج • او لعله خلط بين كلمة طبيب وكلمة حكيم فالأخيرة هى التى تعنى فيلسوفا وقد اطلقت على الطبيب نظرا للصلة الوثيقة التى ربطت قديما بين الفلسفه والطب•

---

(١) البير حبيب مطلق • الحركة اللغويه فى الاندلس " المكتبه العصريه ـ ـ بيروت ١٩٦٧ م " ص ٢٨٠ ـ ٢٨١

بسم الله الرحمن الرحيم

(الباب الثاني)

" ابن شهيد والنقد التقليدي "

الفصـــل الأول

" الشعر فى نقد ابن شهيـــــــد "

مما لا شك فيه ان ابن شهيد قد افاد كثيرا من النقاد الذين سبقوه كما هـى الحال فى كل ناقد فلا نكاد نرى ناقدا استطاع ان يستغنى عن آراء سابقيـــه من النقاد والاستفادة من خبراتهم الطويلة ومناقشة آرائهم والادلاء برأيــه بعد ذلك٠

فقد ناقش ابن شهيد فى هذا الفصل قضيتين نقديتين على جانب كبير مـــن الأهميــة هما اللفظ والمعنى ، والسرقات الشعريه ، والقضيتان مطروقتان قبل ابن شهيد كما طرقتا بعده ، الا انا نلاحظ ان لابن شهيد آراءه المستقله به وشخصيتــه المميزه التى اضفت على اقواله شيئا من الاستقلال ٠

x x x x

اللفظ والمعنى :

لقد اختلف النقاد حول ابن شهيد اختلافا كبيرا فيما يتصل بقضية اللفـــظ والمعنى فمنهم من آثر اللفظ على المعنى ووضعوا الجاحظ على رأس هذه الفرقـــه ومنهم من آثر المعنى على اللفظ وقالوا : ان عبد القاهر الجرجانى من اصحـــاب هذا الرأى ٠

وفريق آخـر رأى أن المتوسط فى الأمـر ارجع فقالوا : ان المعنى روح واللفظ جسد ولاغنى لاحدهما عن الآخـر ومن هؤلاء ابن رشيق وبعض آخر من النقـاد ٠ واكثر الاختلافات ناتجة عن عدم فهم النصوص على وجهها الصحيح فمثلا موقف الجاحـظ من القضيــة يختلف تماما عما أشتهر عنه لأنه لم يفضل اللفظ على المعنى كما زعم ذلــك

(١)
كثير من النقاد ولكن الالتباس حصل من نص الجاحظ الذى قال فيه : " المعانى مطروحة فى الطريق ، يعرفها العجمى والعربى ، والبدوى والقروى ، وانما الشأن فى اقامة الوزن ، وتخير اللفظ ، وسهولة المخرج ، وفى صحة الطبع ، وجودة السبك ، فانما الشعر صناعة وضرب من النسج ، وجنس من التصوير " .

ولايفهم من هذا أن الجاحظ يستهين بقيمة المعنى ولكنه يقصد ان المعانى قبل صياغتها صياغة فنية من الممكن ادراكها ومن السهل معرفتها فمثلا كل العرب كانوا يعرفون ان الليل يدرك الانسان حيثما وجد واينما حل ولكن جاء النابغة الذبيانى فصاغه بتلك الصورة التى يعجز عنها كثير من الناس فقال :

(٢)
فانك كالليل الذى هو مدركى * وان خلت ان المنتأى عنك واسع

وقول الجاحظ : " فانما الشعر صناعة وضرب من النسيج ، وجنس من التصوير " يدل دلالة واضحة على انه لم يغفل اهمية المعانى لأن التصوير لا يعنى اللفظ وحده وانما يتضمن اللفظ والمعنى فى صورة فنية بارزه " . كذلك ان للجاحظ بعض الأقوال التى تصرح باهمية المعانى وعلو شأنها من ذلك

(٣)
قوله : " وقال بعضهم – وهو من احسن ما اجتبيناه ودوناه – لا يكون

---

(١) الجاحظ . الحيوان " مصطفى البابى الحلبى القاهرة ط ٢ ١٣٨٥ هـ – ١٩٦٥م " تحقيق عبد السلام هارون ج ٣ ص ١٣١–١٣٢

(٢) النابغه الذبيانى . الديوان " دار الفكر ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م " تحقيق الذكتور شكرى فيصل ص ٥٢

(٣) الجاحظ . البيان والتبيين " مصر ط ٤ ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م ج ١ ص ١١٥

الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ، ولفظه معناه ، فلا يكـون لفظه الى سمعك اسبق من معناه الى قلبك " .

اما عبد القاهر الجرجانى فهو الناقد الذى عرف بنظريته المشهورة وهى نظريـة النظم التى ادرك من خلالها القيمة الحقيقية للصورة الادبيـة والتى كان يحـوم حولها كثير من النقاد ولكنهم لم يستطيعوا ان يعبروا عنها فمنهم من شبه المعنـى بالروح واللفظ بالجسد ولاغنى لاحدهما عن الآخـر . وبعضهم قال : ان الألفاظ قوالب المعانى او العكس الى غير ذلك.

ولكن عبد القاهر بين ان قيمة اللفظ تكمن فى موقعه من النظم ومساعدته علـى ادراك المعنى الكلى لا من حيث دلالته اللفظية المفرده فقال : (١) " فانـا نرى اللفظة تكون فى غاية الفصاحـة فى موضع ونراها بعينها فيما لا يحصى مـن المواضع ، وليس فيها من الفصاحـة قليل ولاكثير ، وانما كان كذلك لأن المزيـة التى من اجلها نصف اللفظ ـ فى شأننا فى هذا ـ بأنه فصيح ، مزية تحـدث بعد ان لا تكون ، وتظهر فى الكلم من بعد ان يدخلها النظم ، وهـذا شيء ان انت طلبته فيها ـ وقد جئت بها أفرادا لم ترم فيها نظما ولم تحـدث لها تأليفا ـ طلبت محالا " .

ولكن على الرغم من تكامل نظرية النظم على يد عبد القاهر الجرجانى الا انهـا لم تستطع ان تنهى الخلافات القائمة بين النقاد حول موضوع اللفظ والمعنى لأن اكثرهم

---

(١) عبد القاهر الجرجانى . دلائل الاعجاز " دار المنار بمصر ١٣٦٧هـ ط٤ ص ٣٠٧ ـ ٣٠٨

لم يفهم هذه النظرية على وجهها المطلوب ، أو انهم ارادوا ان يتعصبوا لـــــرأى معين فظلت الآراء تتضارب والاقوال تتشعب حتى يومنا هذا .

ومن الذين ادلوا بآرائهم فى قضية اللفظ والمعنى ابو عامر ابن شهيـــــــد فأتى بآراء تستحق التقدير والمناقشة قال : " وانما يستحق اسم الصناعة بتقحم (١) بحور البيان ، وتعمد كرائم المعانى والكلام " فتتساوى عند ابن شهيد الالفــــــاظ والمعانى من حيث الاهمية ويرى ان من الواجب على الاديب اختيار الجيد منهمـا . ويعبر عن الالفاظ " بالكلام " وهذا التعبير لم يكن ارتجاليا من ابن شهيـــــــد وانما كان له هدف فى نفسه لانه ادرك الصورة الادبيـــة فى اوضح شكل لها بـــــل عبر عنها بنفس التعبير الحديث فقال : " فمن كانت نفسه فى اصل تركيبه مستولية (٢) على جسمه ، كان مطبوعا روحانيا ، يطلع صور الكلام والمعانى فى اجمل هيئاتهـا ، وأروق لباساتها . ومن كان جسمه مستوليا على نفسه ــ من اصل تركيبه ــ والغالـــب على حسه ، كان ما يطلع من تلك الصور ناقصا عن الدرجـة الأولى فى الكمـــــــال والتمام ، وحسن الرونق والنظام . فمن كانت نفسه المستولية على جسمه فقد تأتـــى منه فى حسن النظام ، صور رائعة من الكـــلام " .

ومن الملاحظ ان ابن شهيد هو اول ناقد استطاع ان يعبر عن الصورة الادبيـــة بهذا التعبير . بل ان كلامه كان اقرب اليها من كلام اى ناقد آخــر .

---

(١) ابن بسام ١/١ ص ٢٦٦
(٢) ابن بسام ١/١ص ١٩٧

وفى ما اعتقد ان ابن شهيد فى نصه السابق قد اشار الى نظرية النظم التى عبر عنها بقوله : " حسن النظام ، صور رائقة من الكلام " . وبذلك يكون قد سبق عبد القاهر الجرجانى الى فهم هذه النظريه . وهناك نص آخر لابن شهيد[1] ينوه فيه عن النظم مما يدل على أن هذه الفكرة قد تبلورت فى ذهنه قال : " ان للحروف انسابا وقرابات تبدو فى الكلمات ، فاذا جاوز النسيب النسيب ومازج القريب القريب ، طابت الألفة ، وحسنت الصحبة ، واذا ركبت صور الكلام من تلك ، حسنت المناظر ، وطابت المخابر "[2] .

وفى الواقع ان نظرية النظم لم تنفجر انفجارا على يد عبد القاهر الجرجانى فلابد ان يكون قد استفاد من بعض ملاحظات سابقيه[3] واشاراتهم . ولكن ابن شهيد لم يعالج القضية بصورة مستفيضة كما فعل عبد القاهر الا اذا كان قد حصل شئ من هذا فى بعض كتبه المفقوده ، وخاصة كتاب " حانوت عطار " الذى يدل من اسمه على ان له اتصالا بالنقد .

ويعتبر ابن شهيد اى تأثير على اللفظ او على المعنى يؤثر على الصورة الادبية التى هى النتيجة النهائية لكل منهما . وهذا ان دل على شئ فانما يدل على ان هذا الناقد عبقرية غير عادية استطاعت ان تدرك خفايا القضايا النقدية التى استعصت على كثير من النقاد .

---

(١) ابن بسام ١/١ ص ١٩٩

(٢) من الذين اشاروا الى ان ابن شهيد ادرك نظرية النظم الدكتور محمد رضوان الدايه فى كتابه تاريخ النقد الادبى فى الاندلس ص ٢٩٧ .

(٣) يقول الدكتور بدوى طبانه : " والواقع ان هذه الفكره لم يكن عبد القاهر مخترعا لها وان كان هو الذى بسط فيها القول ، وأقام على أساسها فلسفة كتابه فقد سبقه اليها ابو عبد الله محمد بن زيد الواسطى المتكلم (ت٣٠٧هـ) الذى ألف كتابا سماه " اعجاز القرآن فى نظمه " . البيان العربى " دار العودة ـ بيروت ط ٥ (١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م) ص ١٦٥ .

وفيما يبدو ان ادراك الصورة الادبيـــة التى تعتبر نتيجـة من نتائج اللفـــظ والمعنى قد فاتت كثيرا من النقاد امثال ابن قتيبة الذى قسم الشعر حســـــب لفظه ومعناه الى اربعة اضرب : (١) ضرب حسن لفظه وجاد معناه ،وضرب حســـن لفظه وقصر معناه ، وضرب جاد معناه وقصر لفظه ، وضرب قصر معناه وقصر لفظـه . وهو بهذا التقسيم اوقع نفسه فى شطحات ظاهرة لوحظت عليه منذ القدم ومـــن ذلك رأيه فى ابيات كثيّر التى يقول فيها :

ولما قضينا من منى كل حاجـــة * ومسـح بالاركان من هو ماسـح

وشدت على حدب المهارى رحالنا * ولاينظر الغادى الذى هو رائح

اخذنا بأطراف الاحاد يث بيننـا * وسالت بأعناق المطى الاباطـح (٢)

فقد وضعها ابن قتيبة فى الضرب الثانى الذى حسن لفظـه فاذا انت فتشتـه لم تجد هناك فائدة فى معناه او ان معناه عادى فأشار الى ان معنى هـــــذه الابيات هو : (٣) " ولما قطعنا أيام منى واستلمنا الأركان وعالينا ابلنا الأنضـــاء

---

(١) ابن قتيبه . الشعر والشعراء " مصر ١٩٦٦م " جـ ١ ص ٦٤

(٢) ابن قتيبه . الشعر والشعراء جـ ١ ص ٦٦ ، كثير عزه . الديوان " دار الثقافه بيروت ١٣٩١هـ ــ ١٩٧١م " جمعه وشرحه الدكتور احسان عباس صـ ٥٢٥

(٣) ابن قتيبه جـ ١ ص ٦٧ .

ومضى الناس لا ينظر الغادى الرائح ، أبتدأنا فى الحديث ، وسارت المطى فى الأباطح ! ".

ولكن اكثر النقاد خالفوه فى هذا الحكم بل أنهم نسبوا الجمال الى هذه الابيات (١) . وهذا يدل بلاشك على ان ابن قتيبه لم يفطن الى التصوير الفنى للموقف الانسانى فى هذه الابيات والذى يعد التعريف الصحيح للادب . فابن قتيبه حكم على الشعر من حيث لفظه ومعناه ولم يلتفت الى تلك العلاقة التى تربط بين الالفاظ والمعانى .

ومن أخطاء هذا التقسيم ايضا انه ادخل القسم الرابع فى باب الشعر على الرغم انه ليس منه فما قصر لفظه وقصر معناه ليس شعرا وانما يسمى نظما أو اى تسمية اخرى لانه فقد العناصر الاساسيه فى الشعر .

ويشير ابن شهيد ايضا الى ناحية مهمة فى هذه القضية وهى الاحتراس من خداع الالفاظ وحلاوتها اذا كانت لا تحمل معنى كريما او كان من الممكن التعبير عن هذا المعنى بجملة واحدة فيعبر عنه بعشرات الجمل مما يؤدى الى تكرير الالفاظ وتعدد الاسماء دون الحاجة الى ذلك اذا اخذنا بعين الاعتبار ان البلاغة

---

(١) من الذين استحسن هذه الابيات عبد القاهر الجرجانى فبين حسنها وكشف عن اسرار جمالها انظر . اسرار البلاغة " مطبعة المنار ط ٢ ١٣٤٤ هـ ـ ١٩٢٥م صـ ١٦ . وممن استجادها ايضا ابن طباطبا فقال : " هذا الشعر هو استشعار قائله لفرحة قفوله الى بلده وسروره بالحاجة التى وصفها من قضاء حجة وانه برفقائه ، ومحادثتهم ، ووصفه سيل الأباطح بأعناق المطى كما تسيل بالمياه . فهو معنى مستوفى على قدر مراد الشاعر " . ابن طباطبا . عيار الشعر " القاهره سنة ١٩٥٦ م ص ٨٤ ".

فى الايجاز بأن تكون الالفاظ على قدر معناها دون زيادة او نقصان قال ابن شهيد (١) : " فقد ترى الشعر فضى البشرة وهو رصاص المكسر ، ذا ثوب معضد او مهلهل ، وهو مشتمل على بهق او برص ، مبينا بلهن التماثيل ، وصفوان التهاويل ، وهو لا يجن صاحبه عن النسيم فضلا عن الحرجف ، ولايقيه رقيق ريق الندى فضلا عن شؤبوب الكنهور (٢) ، وقد ملحته ملاحة الاسماء ، وانقد فيه الهوى ، واضطرمت فى جانبه نيران الجوى ، ولمع فيه البرق ، واستن فيه الودق ، وسفحت عليه الدموع ، وبان فيه الخشوع ، وهو " كسراب بقيمة يحسبه الظمآن ماء ، حتى اذا جاءه لم يجده شيئا " لا يستحق صاحبه غير ان يكون تلعابة ، أو صاحب براعة " .

ومن الملاحظ ان الدكتور زكى مبارك قال (٣) ان ابن شهيد من انصار المعنى مستشهدا بقول ابن شهيد (٤) : " انما يستحق اسم الصناعة بتقحم بحور البيان وتعمد كرائم المعانى " .

ولكن الدكتور زكى لم يورد النص كاملا وانما اقتطع منه ما يوافق رأيه ولو أكمل النص لتبين ان الحقيقة غير ما ذهب اليه الدكتور زكى فتتمة قول ابن شهيد هى (٥) : " تعمد كرائم المعانى والكلام " . وكما وضحنا سابقا ان ابن شهيد يعنى

---

(١) ابن بسام ١/١ ص ٢٦٦
(٢) الكنهور من السحاب المتراكب الثخين قال الاصمعى وغيره هو قطع من السحاب امثال الجبال " ابن منظور . لسان العرب " الدار المصريه للتأليف والترجمه جـ ١٥ ص ٢١٧ " .
(٣) الدكتور زكى مبارك جـ٢ ص ٦٧ ـ ٦٨ .
(٤) ابن بسام ١/١ ص ٢٦٦
(٥) ابن بسام ١/١ ص ٢٦٦

" بالكلام " الألفاظ فعلى هذا يكون الاستشهاد هنا فى غير موضعه •

ومن ما سبق يتبين لنا أن ابن شهيد فهم قضية اللفظ والمعنى فهما واضحا فادلى فيها بآراء تدل على حصافته ودقة ملاحظته •

x x x x x

(السرقات الشعريه)

من القضايا التى اثارها ابن شهيد السرقات الشعريه وهى من اقدم المواضيع التى تنبه اليها النقاد فأكثروا فيها القول بل انها من المسائل التى شغلتهم فلا نكاد نجد كتابا من كتب النقد يخلو من الكلام عن موضوع السرقة ، واصبح كل منهم يناقش اقوال من سبقه ويزيد عليها بما يراه مناسبا فأخذوا فى تقسيمها وتبويبها ووضع تلك المصطلحات المتعددة لكل قسم فقالوا : الاصطراف ، والانتحال ، والاغارة ، والغصب ، والاختلاس الى غير ذلك (١) • وبعضهم يختلف مع الآخر فى التسمية أو يحرف فيها بقدر ما هداه تفكيره الى ذلك•

ولا نعدوا الحقيقة اذا قلنا • ان السرقات الشعرية تمتد جذورها الى العصر الجاهلى ولكن على نطاق محدود فمثلا نجد بعض الابيات التى تدل على وجود السرقات الشعرية فى العصر الجاهلى (٢) يقول طرفة بن العبد :

ولا اغير على الاشعار اسرقها * عنها غنيت وشر الناس من سرقا

---

(١) لا يتسع المجال هنا لشرح كل مصطلح نظرا لكثرة الاختلافات بين النقاد فيما يقصدون بها •

(٢) طرفه بن العبد • الديوان " دار صادر بيروت ١٣٨٠هـ ـ ١٩٦١م ص ٧٠

ويقول احسان بن ثابت (١) :

لا اسرق الشعراء ما نطقوا * بل لا يوافق شعرهم شعرى

واغلب الظن ان السرقة كانت تعيب الشاعر وتنزل بمكانته فى ذلك الوقت لأنها تدل على ضعف القريحة وقلة الموهبة الابداعية ، ولكن هذه النظرة اختلفت فيما بعد عند كثير من النقاد امثال الآمدى الذى يقول (٢) : " ان من ادركته من اهل العلم بالشعر لم يكونوا يرون سرقات المعانى من كبير مساوئ الشعراء " .

ويقول العسكرى (٣) : " ليس لأحد من اصناف القائلين غنى عن تناول المعانى ممن تقدمهم والصب على قوالب من سبقهم " .

اما القاضى الجرجانى (٤) فانه ذهب يلتمس الاعذار للمتأخرين معتقدا ان من تقدم من الشعراء قد استغرق جميع المعانى واتى على معظمها . ولكن هذا القول لا يخلو من المبالغة لأن المعانى ليست محدودة ولكنها تتجدد وفقا لتجدد الأزمان والأمم ، كذلك ان العقل البشرى ليس فى مستوى واحد من التفكير وخير شاهد على ذلك ابن الرومى الذى أشتهر (٥) باختراع المعانى وتوليدها على الرغم من انه عاش فى العصر العباسى اى قد سبقه كثير من الشعراء .

وبلغ من تهاون بعض النقاد بالسرقة انه يطلق عليها " استعارة " من باب التساهل والتخفيف .

---

(١) حسان بن ثابت . الديوان " دار صادر بيروت ١٩٧٤م " جـ ١ ص ٥٣ تحقيق الدكتور . وليد عرفات .
(٢) الآمدى . الموازنه " دار المعارف بمصر ١٣٨٠هـ ـ ١٩٦١م " جـ ١ ص ٢٩١
(٣) ابو هلال العسكرى . الصناعتين " عيسى الحلبى مصر " ص ٢٠٢
(٤) القاضى الجرجانى . الوساطة " دار احياء الكتب العربية . مصر ط٢ (١٣٧٠هـ : ١٩٥١م " ص ٢١٤ــ٢١٥ (٥) ابن رشيق . العمده " مطبعة السعاده مصر ١٣٧٤هـ ــ ١٩٥٥م ط ٢ " جـ٢ ص ٢٤٤

ومن الملاحظ ان السرقة لا تتحقق فى الألفاظ والا لنفد الكلام واصبح من الصعب جدا اختراع الفاظ جديدة وانما تتحقق السرقة فى المعانى التى تنقسم قسمين : معانى مشتركه ومعانى مخترعه ، فأما الأولى فلا سرقة فيها لأنها مما تفطن اليه النفس البشرية دون الاحتياج الى من يلهمها ذلك مثل تشبيه الحسن (١) بالشمس والجواد بالبحر والشجاع بالأسد الى غير ذلك.

اما المعانى المخترعة فهى التى اصبحت وقفا على اصحابها فلم سبقهم اليها احد ففضل اختراعها يرجع اليهم مثل قول (٢) عنترة فى الذباب :

فترى الذباب بها يغنى وحده * هزجا كفعل الشارب المترنم

غردا يحك ذراعه بذراعه * فعل المكب على الزناد الأجذم

وفى هذه المعانى تتحقق السرقة بين الشعراء .

أما رأى ابن شهيد (٣) فى السرقة فيتلخص فى قوله : " اذا اعتمدت معنى قد سبقك اليه غيرك فاحسن تركيبه ، وأرق حاشيته فأضرب عنه جملة . وان لم يكن بد ففى غير العروض التى تقدم اليها ذلك المحسن لتنشط طبيعتك وتقوى منتك " .

---

(١) عبد القاهر الجرجانى سمى هذا النوع " المشترك العامى " اسرار البلاغة " مطبعة المنار بمصر ط ٢ ١٣٤٤ هـ — ١٩٥٢م " ص ٢٩٥ .

(٢) الجاحظ . الحيوان " مصطفى البابى الحلبى . مصر ط ١ (١٣٥٦هـ — ١٩٣٨م " ج ٣ ص ٣١٢

(٣) ابن بسام ١/١ ص ٢٤٤ .

وهو رأى تفرد به ابن شهيد بين النقاد ويدل على ذكاء ولباقة لأن تغيير العروض يغير موسيقى البيت فيتحقق نوع من الاختلاف وهذا من انواع الحيلة او الاخفاء ، ولكن على الرغم من ذلك فان الناقد المثقف الملم بالاشعار لاتخفى عليه مثل هذه الأشياء فهو يستطيع ان يخرج البيت المسروق مهما حاول قائله ان يغير ويبدل فيه .

ولا يؤيد ابن شهيد اخذ المعنى الذى احسن فيه قائله فابدع تركيبه لأن الآخذ لا يضمن تفوقه على القائل او المبدع (١) ، وضرب لذلك مثلا بعمر بن ابى ربيعة الذى اراد أن يأخذ معنى امرئ القيس حين قال (٢) :

سموت اليها بعدما نام اهلها * سمو حباب الماء حالاعلى حال

فقال عمر (٣) :

ونفضت عنى النوم أقبلت مشية الـ * ـحباب وركنى خيفة القوم أزور

قال ابن شهيد (٤) : " الا ترى عمر بن ابى ربيعة ، وهو من اطبع الناس حين رام الدنو منه والالمام به كيف افتضح ... انه ساء قسمة البيت ، واراد أن يلطف التوصل فجاء مقبلا بركن كركنه أزور . وابن ابى ربيعة لو ركب غير عروضه لخلص فقلت انا فى ذلك :

ولما تملأ من سكره * فنام ونامت عيون العسس
دنوت اليه على بعده (٥) * دنو رفيق درى ما التمس

(١) ابن بسام ١/١ ص ٢٤٤
(٢) امرؤ القيس الديوان " الاستقامه . القاهره ط ٥ " ص ١٦١ حسن السندوبى
(٤) ابن بسام ١/١ ص ٢٤٤ (٣) عمر بن ابى ربيعة . الديوان " دار صادر بيروت ١٣٨٥هـ ــ ١٩٦٦م " ص ١٢٣ .
(٥) فى رواية ابن سعيد الاندلسى " على قربه " وفى اعتقادى انها الأصح لأن الدنو يكون من القريب فى اغلب الاحيان . (ابن سعيد . عنوان المرقصات والمطربات ــ طبع على ذمة جمعية المعارف ص ٥٩) .

ادب اليه دبيب الكـــــرى * واسمو اليــه سمو النفــــس
وبت بــه ليلتى ناعمـــــا * الى أن تبسم ثغــر الفلـــس
اقبل منه بياض الطـــــلا * وأرشف منه ســواد اللمـــس

وابـن شـهيد ذكر المقطوعة السابقة بأكملها على الرغم ان الأخـذ لم يتحقق الا فى البيت الثالث وهو قوله : " ادب اليه دبيب الكرى .... الخ " . وهـو فى هذا الصدد يشير الى قضيـة فى غايـة الاهميـة وهى حسن الأخـذ وقبحـه وقد اوفى هذه القضيـة حقها ابو هلال العسكرى الذى عقد لكل منهما فصـــلا خاصا به فى كتابه " الصناعتين " .

وتعرض ابن شهيد ايضا الى الزيادة وبلغ الحسن فيها بالنسبة للمعنـــى المأخوذ فذكر فى رسالة " التوابع والزوابع " نصا يدور حول معنى عرفه المشارقـة وتردد فى كتبهم الحديث عنه قال (١) : " قال ابو عامر : وحضرت أنا أيضا وزهيـر (٢) مجلسا من مجالس الجن ، فتذاكرنا ما تعاورتـه الشعراء من المعانى ، ومـن زاد فأحسن الأخـذ ، ومن قصر . فأنشد قول الأخـو بعض من حضر :

وترى الطير على آثارنـــا * رأى عين ، ثقـة أن ستمـار

وانشد آخـر قول النابغة (٣) :

اذا ما غزوا بالجيش حلق فوقهم * عصائب طير تهتدى بعصائـب
تراهن خلف القوم خزرا عيونهـا * جلوس الشيوخ فى ثياب المرانب
جوانح قد ايقن أن قبيلـــه * اذا ما التقى الجيشان أول غالب

---

(١) ابن بسام ١/١ ص ٢٤٢ ـ ٢٤٤ .
(٢) زهير بن نمير وهو تابعة ابن شهيد الذى ذهب به الى ارض الجن .
(٣) النابغة الذبيانى . الديوان ص ٥٧ .

وانشد آخر قول ابى نواس (١) :

تتأيى الطير غدوتـه * ثقة بالشبع من جـزره

وأنشد آخر قول صريع الغوانى (٢) :

قد عود الطير عادات وثقن بها * فهن يتبعنه فى كل مرتحل

وأنشد آخر قول ابى تمام (٣) :

وقد ظللت عقبان أعلامه ضحى * بعقبان طير فى الدماء نواهل

أقامت مع الرايات حتى كأنهـا * من الجيش الا أنها لم تقاتل

فقال شمردل السحابى (٤) : كلهم قصر عن النابغة ، لأنه زاد فى المعنى ودل على أن الطير انما أكلت أعداء الممدوح ، وكلامهم كلهم مشترك يحتمل أن يكون ضد ما نواه الشاعر ، وان كان ابو تمام قد زاد فى المعنى . وانما المحسن المتخلص المتنبى حيث يقول (٥) :

له عسكرا خيل وطير اذا رمى * بها عسكرا لم تبق الا جماجمه

وكان بالحضرة فتى حسن البزة ، فاحتد لقول شمردل . فقال : الأمر على ما ذكرت يا شمردل ، ولكن ما تسأل الطير اذا شبعت أى القبيلين الغالب . وأما الطير الآخر فلا ادرى لأى معنى عافت الطير الجماجم دون عظام السوق والأذرع والفقارات والمصاعص ؟ ولكن الذى خلص هذا المعنى كله ، وزاد فيه ،

---

(١) ابو نواس . الديوان " دار الكتاب العربى بيروت ص ٤٣١ " تحقيق احمد عبد المجيد الغزالى .

(٢) صريع الغوانى . الديوان " دار المعارف بمصر ١٩٧٠م ط ٢ " ص ١٢ تحقيق الدكتور سامى الدهان .

(٣) ابو تمام . الديوان بشرح الخطيب التبريزى " دار المعارف بمصر ١٩٧٠ ط٢ ج ٣ ص ٨٢ تحقيق محمد عبده عزام . (٤) احد نقاد الجن .

(٥) المتنبى . شرح ديوان المتنبى لعبد الرحمن البرقوقى " دار الكتاب العربى بيروت " ج ٤ ص ٥٤ .

وأحسن التركيب ، ودل بلفظة واحدة على ما دل عليه شعر النابغة وبيت المتنبى ، من أن القتلى التى أكلتها الطير أعداء الممدوح ، فاتك بن الصقعب (١) فى قوله :

وتدرى سباع الطير أن كماتـه * اذا لقيت صيد الكماة سـباع

لهن لماب فى الهواء وهـزة * اذا جد بين الداعين قـراع

تطير جياعا فوقه وتردهـا * ظباه الى الأوكار وهى شبـاع

تملك بالاحسان رقة رقهـا * فهن رقيق يشترى ويبـاع

وألحم من افراخها فهى طوعة * لدى كل حرب والملوك تطـاع

تما صح جرحاها فيجهز نقرهـا * عليهم ، وللطير العتاق مصـاع

فاهتز المجلس لقوله ، وعلموا صدقه . فقلت لزهير : من فاتك بن الصقعب قـال : يعنى نفسه ".

وفى هذه المحاورة نرى أن ابن شهيد يخرج منها غالبا كما هى عادته فى انطباعه عن نفسه ولكن فى الحقيقة ان شعره فى الطير وان كان جميلا الا انه لم يبلغ الجودة التى بلغتها ابيات النابغة ومسلم بن الوليد وابى تمام والمتنبى ، وفى هذا دليل على أن بعض احكام ابن شهيد ذاتية تهدف الى اثبات شخصيته . واللذان احسنا غاية الاحسان فى المعنى هما النابغة وابو تمام لأنهما اهتما بكثرة الطير التى تدل على كثرة عدد القتلى وكذلك بيت المتنبى فيه شئ من ذلك . ولكن ابن شهيد لم يتنبه الى ذلك المغزى حينما تكلم عن هذه الابيات.

---

(١) اسم تابعة ابن شهيد اضافة الى تابعته الأول وهو زهير بن نمير الذى سار معه الى اراضى الجن .

ويبدو أن اعتبار الزيادة في المعنى المأخوذ حسنة من الحسنات لم تكن مقتصرة على ابن شهيد بل اشار اليها غيره من النقاد ووضعوها في نفس الموضع الذى جعلها فيه ومن هؤلاء ابن قتيبة الذى قال (١) : " وكان الناس يستجيدون للأعشى قوله (٢) :

وكأس شربت على لـــذة * واخرى تداويت منها بهـا

حتى قال ابو نواس (٣) :

دع عنك لومى فان اللوم اغــراء * وداونى بالتى كانت هى الـداء

فسلخه وزاد فيه معنى آخر ، اجتمع له به الحسن فى صدره وعجزه ، فللأعشى فضل السبق اليه ، ولأبى نواس فضل الزيادة فيه " .

وعلى اى حال فانا نستطيع القول بان ابن شهيد قد فهم السرقة الشعرية فهما واضحا على الرغم انه لم يستعمل لفظة " سرقة " وانما استبدل بها لفظة " أخذ " (٤) تساهلا فى امرها لأنه يرى أنها ليست عيبا يقدح فى مكانة السارق كما وضحنا ذلك سابقا .

---

(١) ابن قتيبة . الشعر والشعراء " دار احياء الكتب العربية ١٣٦٤هـ " جـ١ صـ١٨
(٢) الاعشى . الديوان " دار صادر بيروت ١٩٦٦م " ص ٢٤ .
(٣) ابو نواس . الديوان ص ٦
(٤) اكثر النقاد لم يفرق بين السرقة والأخذ الا ان هناك بعض الاقوال التى تدل على ان هناك فرقا بينهما فمثلا يفرق الرندى بينهما ويجعل الأخذ فى ثلاثة مراتب : زيادة ، ومساواة ، وتقصير . " الوافى فى نظم القوافى لأبى الطيب الرندى / مخطوطة فى المكتبة التيموريه بمصر كتب عنها الدكتور محمد الدايه فى كتابه تاريخ النقد الادبى فى الاندلس ص ٤٣٤ " .
وابن الاثير اشار الى ان هناك فرقا بين السرقة والأخذ فعالج كلا منهما منفردا " ابن الاثير . المثل السائر . مطبعة حجازى . القاهرة ١٣٥٤ هـ ـ ١٩٣٥م صـ٣١٠ـ٣١١ " . ولكن فيما يبدو ان السرقة تكون فى البيت بلفظه ومعناه كما اشار الى ذلك ابن رشيق حين قال : " من اخذ معنى بلفظه كما هو كان سارقا " ابن رشيق جـ ٢ ص ٢٨١ . اما الأخذ فانه يكون فى المعنى فقط . وعلى اى حال فان الأخذ اخف وطأة من السرقة ولفظه أقل عيبا .

وكانت اقوال ابن شهيد في هذا المجال جديرة بالتقدير وتدل على ثقافته الواسعة وتمكنه من اشعار العرب والاحاطة بها لأن تتبع السرقة والادلاء فيها لا يقوم به الا حفظ الكثير من الشعر وقراءة العشرات من الكتب.

ولا غرابة في اهتمام ابن شهيد بالأخذ او بالسرقة الشعرية لانها قضية عامة ومن السهل ان يفطن اليها كل ناقد وذلك خلافا لما يعتقده الدكتور احسان عباس حينما قال : (١) " وقد كانت مشكلة الأخذ هذه - فيما يبدو - من اكبر المسائل التي شغلت ابن شهيد ، لانها اساس من الاسس التي تعتمد عليها طريقته الشعرية" ولا أرى أن هناك سببا يدعو ابن شهيد الى الاهتمام بالأخذ اهتماما خاصا وانما هي قضية عامة شغلت النقاد منذ القدم حتى يومنا هذا .

---

(١) احسان عباس . تاريخ الادب الاندلسي عصر سيادة قرطبة ص ١٤٢

الفصـــــل الثانــــى

" الشاعر فى نقد ابن شهيـــــــــــــــد "

كما تكلم ابن شهيد فى نقده عن الشعر لم يغفل الكلام عن الشاعر نفسه . فهناك بعض المؤثرات التى تؤثر على شخصيته وتكوينه الخلقى والنفسى فيظهر ذلك واضحـــا فى انتاجــه الادبــى .

وقد اهتم النقاد بالشاعر منذ القدم فقالوا : ذلك الشاعر ينحت من صخر وقالـــوا عن الآخـــر انه يغرف من بحر ، وسموا بعض الشعراء فحلا وغير ذلك من الأقـــوال التى تدل على ان للشاعر اهتماما خاصا فى ميدان النقد .

ولايختلف اثنان فى ان دراسة حياة الشاعر والظروف التى احاطت به مهمة جـــدا فى فهم شعره وتفسيره على ضوء تلك الحياة التى عاشها . ومن اقوال النقاد ايضا فـــى هذا الصدد اجابة الذى سئل عن اشعر الشعراء فقال : اشعرهم امرؤ القيس اذا ركب ، وزهير اذا رغب ، والنابغة اذا رهب ، والأعشـــى اذا شرب مما يدل على أن الظـــروف والطبائع التى لازمت الشاعر ذات دخل كبير فى فتح الابواب امام الناقد ليصدر احكامــــا موضوعيــه صحيحــه .

فقد عالج ابن شهيد ناحيتين مهمتين فى الشاعر هما الطبع والصنعة وتأثير البيئـة وكان للنقاد الذين سبقوه وجهات نظر متعددة حول هذا الموضوع ولكنا نلمس شخصيـــة ابن شهيد واضحـــة وملموسة من خلال احاديثه ومناقشاته التى تعد على جانب كبيـــــر من الأهميـــة فى النقد الأدبـــى .

الطبـــع والصنعـــــــــة

اكثر من تكلم فى مجال الطبع والصنعة اولئك النقاد الذين تناولوا ابا تمام والبحترى بالبحث والدراسة لأن كلا من هذين الشاعرين ينتمى الى احدى المدرستين " الطبع والصنعة " (١) ، فأبو تمام شاعر صنعة والبحترى شاعر طبع فاختلف النقاد فى تفضيل احدهما على الآخر وبالتالى كثرت الأقوال وتشعبت الآراء حول هذه القضية .

وقد تغير مفهوم كل من الطبع والصنعة عبر العصور . ففى العصر الجاهلى يقصد بالطبع الاستعداد الفطرى فقط ويقصد بالصنعة اعادة النظر وبقى هذا المفهوم سائدا حتى العصر العباسى ، ثم بدأت النظرة تتغير عند بعض النقاد ، وأخذ مفهوم الطبع شكلا آخرا يختلف عن المفهوم الجاهلى واصبح يقصد به الاستعداد الفطرى الى جانب اعادة النظر بالصقل والدراسة ، واصبحت الصنعة تعنى كد الفكر واجهاد النفس فى ابداع الابيات ثم بعد ذلك اعادة النظر فيها (٢) .

وممن نظر الى الطبع فى مفهومه الجديد اى الاستعداد الفطرى الى جانب الصقل واعادة النظر القاضى الجرجانى والذى يمثل مفهوم عصره فى ذلك الوقت قال : (٣) " وملاك الأمر فى هذا الباب خاصة ترك التكلف ورفض التعمل والاسترسال للطبع ، وتجنب الحمل عليه والعنف به ، ولست اعنى بهذا كل طبع ،

---

(١) من الملاحظ ان ابن رشيق يعد البحترى من شعراء الصنعة " العمدة ١ / ١٣٠ " ولكن هذا يخالف ما اجمع عليه النقاد من ان البحترى شاعر طبع وليس شاعر صنعة .

(٢) العرب عادة ما تشبه شعر الصنعه بالصانع الذى احكم صنعته من رماح أو سيوف او غير ذلك يقول عدى بن الرقاع :

وقصيدة قد بت اجمع بينها * حتى أقوم ميلها وسنادها
نظر المثقف فى كعوب قناته * حتى يقيم ثقافه منآدها

الباقلانى . اعجاز القرآن " دار المعارف بمصر ط ٣ ١٩٧٢م " تحقيق سيد صقر ص ١٢٢ — (٣) القاضى الجرجانى . الوساطة (دار احياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبى . مصر ١٣٧٢هـ — ١٩٥١م ط٢ ص ٢٥).

بل المهذب الذى قد صقله الأدب ، وشحذته الرواية ، وجلته الفطنة ، وألهم الفصل بين الردىء والجيد ، وتصور امثلة الحسن والقبح . ومتى اردت أن تعرف ذلك عيانا ، وتستثبته مواجهة ، فتعرف فرق ما بين المصنوع والمطبوع ، وفضل ما بين السمح المنقاد والعصي المستكره فاعمد الى شعر البحترى " .

ومن تنبه الى ذلك ايضا المرزوقى حين قال : (١) " فمتى رفض التكلف والتعمل ، وخلى الطبع المهذب بالرواية ، المدرب فى الدراسة ، لاختياره ، فاسترسل غير محمول عليه ، ولا ممنوع مما يميل اليه ، أدى من لطافة المعنى وحلاوة اللفظ ما يكون صفوا بلا كدر ، وعفوا بلا جهد ، وذلك هو الذى يسمى " المطبوع " .

وشعر الطبع سابق على شعر الصنعة لأن العقلية العربية فى بدايتها كانت صافية عفوية غير معقدة ترضى بالخاطر الأول دون التعمق او الغوص الى اعماق الاشياء والذى يوافق مثل هذه العقلية هو شعر الطبع . ولا يفهم من هذا أن الشعر المطبوع سطحى الأفكار ولكن لأنه قريب من تلك النفوس السهلة التى لم تتعود التكلف فى جميع امورها من ملبس ومأكل ونوم وغير ذلك .

ومن لاحظ ان شعر الطبع سابق على شعر الصنعة ابن رشيق الذى قال : (٢) " ومن الشعر مطبوع ومصنوع ، فالمطبوع هو الأصل الذى وضع أولا ، وعليه المدار " .

وشعر الصنعة اخذ اشكالا مختلفة على مدى العصور الادبية فبدأ من مدرسة

---

(١) المرزوقى . شرح ديوان الحماسة " لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة ١٣٧١هـ — ١٩٥١م ط ١ " جـ ١ ص ١٢

(٢) ابن رشيق . العمده ١ / ١٢٩ .

أوس بن حجر وزهير والحطيئة حتى انتهى الى الحد الأقصى له على يد ابى تمام الشاعر العباسى المعروف والذى افرط فى صنعته افراطا جعل النقاد ينكرون عليه ذلك فقالوا (١) : " ابو تمام يريد البديع فيخرج الى المحال ".

والاختلاف فى مفهوم الصنعة بين النقاد كثير جدا ، فمنهم من ذهب الى ان شعر الصنعة هو التكلف والتعسف المذموم الذى يحط من شأن القصيدة ومن هؤلاء المرزوقى (٢) الذى قال : " ومتى جعل زمام الاختيار بيد التعمل ، والتكلف ، عاد الطبع مستخدما متملكا ، وأقبلت الأفكار تستحمله أثقالها ، وتردده فى قبول ما يؤديه اليها ، مطالبة له بالاغراب فى الصنعة ، وتجاوز المألوف الى البدعة ، فجاء مؤداه وأثر التكلف يلوح على صفحاته ، وذلك هو " المصنوع " ".

ولكن الصنعة عند ابن قتيبة اكثر وضوحا وجلاء فنراه يقربها الى الافهام ويضعها فى موضعها الطبيعى قال (٣) : " ومن الشعر المتكلف (٤) والمطبوع : فالمتكلف هو الذى قوم شعره بالثقاف ، ونقحه بطول التفتيش واعاد فيه النظر بعد النظر ، كزهير والحطيئة ".

ويوافقه فى ذلك ابن رشيق (٥) الذى يرى أن خير صنعة هى التى تكون مثل صنعة زهير صاحب الحوليات.

---

(١) الآمدى . الموازنه " دار المعارف بمصر ١٣٨٠ هـ ـ ١٩٦١م " ص ١٩
(٢) المرزوقى . ص١٢
(٣) ابن قتيبه . الشعر والشعراء ص ٢٣
(٤) لا يقصد ابن قتيبه المعنى المعروف للكلمه وهو التعسف وانما يقصد : الروية والأناة.
(٥) ابن رشيق ١٠ / ١٢٩

وفى الواقع ان الصنعة المستحبة هى التى تكون فى حدود المعقول . اما اذا افرط الشاعر فى اقتناص الاستعارات والكنايات والطباق الى الحد الذى تشمئز منه النفوس وينفر الذوق منه فذلك ليس مرغوبا فيه .

وطالما ان شعر زهير والحطيئه يعد من الصنعه فانا لا نرى فيه ذلك التكلف والتعسف الذى وجد عند ابى تمام ومن على شاكلته حتى اصبح كلامهم يشبه الطلاسم . وقد سئل ابو تمام :(١) " لم لا تقول من الشعر ما يفهم ؟ فقال له : وانت لم لا تفهم من الشعر ما يقال ؟ " . ولكن هذا حسن تخلص لا يعطى الجواب المطلوب . ومن انكر ذلك ايضا عبد القاهر الجرجانى قال :(٢) " وقد تجد فى كلام المتأخرين الآن كلاما حمل صاحبه فرط شغفه بامور ترجع الى ماله اسم فى البديع الى أن ينسى أنه يتكلم ليفهم ، ويقول ليبين ، ويخيل اليه أنه اذا جمع بين أقسام البديع فى بيت فلا ضير أن يقع ما عناه فى عمياء ، وأن يوقع السامع من طلبه فى خبط عشواء ، وربما طمس بكثرة ما يتكلفه على المعنى وافسده كمن ثقل العروس باصناف الحلى حتى ينالها من ذلك مكروه فى نفسها (٣) " .

اما موقف ابن شهيد من الطبع والصنعة فيحدده النص الذى قال فيه(٤) :
" وانما يتبين تقصير المقصر ، وفضل السابق المبرز ، اذا اصطكت الركب ،

---

(١) ابن رشيق ١ / ١٣٣
(٢) عبد القاهر الجرجانى . اسرار البلاغة " مطبعة المنار ط ٢ ١٣٤٤هـ — ١٩٢٥م " ص ٦
(٣) حدد بعض النقاد الصنعه بالبيت والبيتين فى القصيدة الواحده واذا ازادت عن ذلك فهى عيب يقدح فى مكانه الشاعر . ومن هؤلاء ابن رشيق قال : " — واستطرفوا ما جاء من الصنعة نحو البيت والبيتين ... فأما اذا كثر ذلك فهو عيب " ابن رشيق ١ / ١٣٠
(٤) ابن بسام : ١/١ ص ٢٠٩

وازدحمت الحلق ، واستعجل المقال ، ولم توجد فسحة لفكرة ، ولا امكنت نظرة لروية ، أوفى مجالس الملوك عند انسها وراحتها ، فانه يقع فيها ، ويجرى لديها ، مالا ينفع له الاستعداد ، ولا ينفذ فيه غير الطبع والغريزة المتدفقة. فترى الجواد السابق (١) اذ ذاك متشوفا بأذنه باحثا لكديد الاحسان بيده ، طامح النظر ، صهصلق الصهيل ، واهل الصنعة خرس لا يسمع لهم جرس ، ولا شيء عندهم غير حسو الكأس ، وشم الآس ، وتنفس الصعداء ، وقد اصفرت الوانهم ، وقلصت شفاههم كأنهم من رجال عذرة".

فهنا يؤيد ابن شهيد الطبع او بالاحرى ما يسمى بشعر الارتجال وخاصة فى المواقف التى تصطك فيها الركب وتزدحم الناس لرؤية المغلوب من الغالب فى هذه المناقشات ، لأن الموقف لا يسمح بالتروى والنظر .

وقد فهم ابن شهيد الطبع هنا كما فهمه الجاهليون وهو الاستعداد الفطرى دون اعادة النظر .

ولكن هناك نصا آخرا لابن شهيد يكاد يكون متعارضا مع نصه السابق مما جعل بعض النقاد يتهمه بالتناقض والتذبذب . قال ابن شهيد فى رساله " التوابع والزوابع " على لسان تابعة ابى تمام (٢) : " ان كنت ولابد قائلا ، فاذا دعتك نفسك الى القول فلا تكد قريحتك ، فاذا اكملت فجمام ثلاثة لا أقل . ونقح بعد

(١) لقد وفق ابن شهيد فى تشبيهه شاعر الطبع بالحصان السابق لما بينهما من تقارب.

(٢) ابن بسام ١/١ ص ٢١٩

ذلك ، وتذكر قوله (١) :

وجشمنى خوف ابن عفان ردهـا * فثقفتها حولا كريتا مربعا

وقد كان فى نفى عليها زيادة * فلم ار الا ان اطيع واسمعا " .

وفى الحقيقة ان ابن شهيد يؤيد الطبع فى موقف معين ويؤيد الصنعة فى موقف آخر . ففى مثل المناظرات الادبية والمحاورات الشعرية ومجالس الانس عند الملوك (٢) وما شابه ذلك لا يجدى الا شعر الطبع الذى يلائم مثل هذه المواقف . ولكنه لا ينكر على الشاعر التنقيح والتروى اذا كان لديه متسع من الوقت يسمح بتنقيح قصيدته والنظر فى ابياتها ليكون بعيدا عن الزلل الذى يقع فيه المتعجل من الشعراء .

ويجب أن لا ننسى ان ابن شهيد فى نصه السابق يتحدث بلسان ابى تمام متقمصا شخصيته كما يفعل عادة مع تابعه كل شاعر يقابله . ولابن شهيد ايضا رأى فى الصنعة يكاد يكون معتدلا وقلما نجده عند غيره من النقاد الذين يتعصبون تعصبا شديدا لأحد المذهبين ويرمون المذهب الآخر بالتقصير والنقصان قال ابن شهيد (٣) : " وكذلك الشعراء انتقلوا عن العادة فى الصنعة بانتقال الزمان ، وطلب كل ذى عصر ما يجوز فيه ، وتهش له قلوب اهله ، فكان من صريع الغوانى وبشار وابى نواس واصحابهم فى البديع ما كان ،

---

(١) البيتان لسويد بن كراع الشاعر الأموى .

(٢) لقد اشتهرت الاندلس بمجالسها الادبيه والغنائيه ومن يقرأ كتب التاريخ والادب التى تتحدث عن الاندلس يجد شيئا كثيرا من ذلك .

(٣) ابن بسام ١/١ ص ٢٠٣

من استعمال افانينه ، والزيادة فى تفريع فنونه . ثم جاء ابو تمام فأسرف فى التجنيس ، وخرج عن العادة . وطاب ذلك منه ، وامتثله الناس ، فكل شعر لا يكون اليوم تجنيسا أو ما يشبهه تمجه الآذان ، والتوسط فى الأمر اعدل ، ولذلك فضل اهل البصرة صريع الغوانى على ابى تمام لأنه لبس ديباجة المحدثين على لأمة العرب ، فتركب له من الحسن بينهما ما تركب " .

وهذا بلا شك يدل على اتزان شخصية ابن شهيد النقدية وثقافته الواسعة التى جعلته يرسم خطا بيانيا لمذهب الصنعة ينتهى الى الاسراف والخروج عن العادة عند ابى تمام حتى ان بعض شعره استغلق على افهام الناس — كما اشرنا الى ذلك سابقا — ويقف ابن شهيد من هذا الاتجاه موقفا وسطا وهو الاعتدال فى استعمال البديع من طباق وجناس واستعاره لأن ما يخرج عن حده قد ينقلب الى ضده .

واخيرا نستطيع القول بان ابن شهيد يؤيد الطبع فى مكانه المناسب وكذلك لا ينكر قيمة الصنعة المعتدلة التى لا تخرج عن الحدود الطبيعيه لها .

(أثر البيئة في الأديب)

لقد فهم ابن شهيد تأثير البيئة على الأديب واهميتها فى تكوين نفسيته وانعكاس ذلك كله على انتاجه الادبى فقال : " (١) واصل قلة هذا الشأن عدم البيان فساد الازمنة ونبو الامكنة " .

وفى هذا دليل ان ابن شهيد يعطى البيئة اهمية خاصة فى تقدير ادب الاديب فهو اذا عاش فى بيئة نشطة من الناحية العلمية والادبية وتوفرت لها اسباب الرقى الثقافى فى جميع المجالات خرج بنفسية ذواقة صافية تأثرت بما سمعت ورأت كما هو الحال فى عصر ابن شهيد نفسه فان الحركة العلمية فى قرطبة فى ذلك الوقت كانت فى ذروة عزها وشرخ شبابها بل كان الناس يتفاخرون بالمكاتب واقتناء الكتب النفيسة .

اما اذا عاش الاديب فى بيئة فاسدة خاملة لا يتوفر فيها نشاط ادبى وعلمى خرج بنفسية انعكست عليها آثار تلك البيئة فجعلت حظها من النجاح قليلا ، واقرب دليل على ذلك فترة عصر الانحطاط التى تردى فيها الادب العربى حتى بلغ الحضيض ، فانا اذا استعرضنا ادب تلك الفترة وجدنا انه يعتمد على الجناس المحض والطباق المفرط والتعقيد اللفظى الذى تسأم منه النفس البشرية وكل ذلك صدى للبيئة المعقدة التى عبرت عنها نفسية اديبها .

وهذا الرأى لم يكن غريبا او جديدا على عالم النقد كذلك لم يكن لابن شهيد فضل السبق اليه وانما تكلم عن البيئة واثرها نقاد سبقوا ابن شهيد

---

(١) ابن بسام ١/١ ص ١٧٩ .

يقرون امثال ابن سلام الجمحى والجاحظ والجرجانى وغيرهم . بل ان هذا العامل بالذات كان فى بعض الاحيان يعد مقياسا لجودة الشعر ورداءته كما يروى لنا صاحب الموشح فيقول : " (١) اتى عمر بن ابى ربيعة الفرزدق فأنشده من شعره ، وقال كيف ترى شعرى ؟ قال : ارى شعرا حجازيا ان انجد اقشعر . فقال له : حسدتنى . فقال : يا بن اخى ، علام احسدك ؟ أنا والله اعظم منك فخرا ، واحسن منك شعرا ، واعلى منك ذكرا " .

وهذا النص يذكرنا بقاعدة سار عليها اكثر النقاد ومنهم ابن شهيد وهو حكمهم بان شعر البادية اجود من شعر الحاضرة ، لما فيه من قوة وفخامة وجزالة ومن اولئك ابن سلام الجمحى الذى اتخذ هذه القاعدة مقياسا لأحكامه على شعر الشعراء فهو يقول : " (٢) واشعار قريش اشعار فيها لين فتشكل بعض الاشكال " ويقول فى موضع آخر : " (٣) عدى بن زيد كان يسكن الحيرة ويراكن الريف ، فلان لسانه وسهل منطقه فحمل عليه شئ كثير " .

وهذه القاعدة وان كانت تعتبر تيارا عنيفا يشكل قوته النقاد الأوائل الا انها كانت مثارا للنقاش والأخذ والرد يقول الدكتور محمد مندور : " (٤) والواقع انه اذا كان ابن سلام مصيبا فى نظرته الى انتحال الشعر ، فانه اقل اصابة فيما عدا ذلك ... ولين شعر عدى بن زيد لا يكفى لتعليله قوله : " أنه سكن

---

(١) المرزبانى . الموشح " دار نهضة مصر ١٩٦٥م " تحقيق على محمد البجاوى ص ٣٢٢ .
(٢) ابن سلام الجمحى . طبقات فحول الشعراء " مطبعة المدنى القاهرة " ج ١ ص ٢٤٥ .
(٣) ابن سلام . ج ١ ص ١٤٠
(٤) الدكتور محمد مندور . النقد المنهجى عند العرب " دار نهضة مصر القاهرة " ص ٢١

الحيرة وراكن الريف " . والا حرنا فى تمليل " تحت الفرزدق من صخر " و "اغتراف جرير من بحر " . "

وفيما يلوح لى أن الدكتور مندور فهم القضيــة من زاوية ضيقة محدودة لانــه اغفل معايير ذلك العصر وحكم عليها بمعياره هو فالبيئة البدوية فى عصر ابــن سلام كانت افصح (١) من البيئــة الحضرية فى ذلك الوقت . لأن الحضر اختلطــوا بغيرهم من الاعاجم والمولدين فضعفت السنتهم وقرائحهم مما دعاهم الـــى ان يذهبوا بابنائهم الى الباديــة معدن الفصاحــة وخير مثل على ذلك رســول الله صلى الله عليه وسلم الذى تربى فى بيئــة بنى سعد افصح العرب واقدرهــا على امتلاك ناصية البيان كما افتخــر عليه الصلاة والسلام بذلك .

وفى هذا المجال بالذات يقول ابن شهيد (٢) : " كانت الملوك تعــدل بنيها عن التنعم الى شظف العيش ، وتدنى محالهم من الباديــة ، وتبوئهــم منازل الفصاحــة ، لتحتد افئدتهم ، وتفتق السنتهم " .

ولكن من الملاحظ أنه قد يكون هناك اختلاف فى المفاهيم بين البيئتين الحضرية والبدوية من ذلك القصة المشهورة والتى تنسب الى على بن الجهم (٣) عندمــا

---

(١) بنت الشاطئ " ترى عدم وجود فارق بين البيئة البدوية والبيئة الحضرية فـــى العصر الجاهلى . ولكن هذا الكلام مردود لأن الفوارق بين البيئتين واضحة امام الاعيان لاتحتاج الى اثبات او برهان . " قيم جديدة للادب العربى دار المعارف ١٩٦١م " ج ١ ص ٢٤

(٢) ابن بسام ١/١ ص ١٩١

(٣) محى الدين بن العربى . محاضرة الابرار ومسامرة الاخيار " بتصرف" مطبعة السعاده بمصر ط ١ ١٣٢٤ هـ ــ ١٩٠٦م " ج ٢ ص ٥٣ .

دخل على المتوكل الخليفة العباسي وهو جالس في مجلسه وكان ابن الجهم بدويا (١) جلفا عاش في الصحراء فاثرت فيه بيئتها فخاطب الخليفة قائلا :

انت كالكلب في حفا ظك للـــو * د وكالتيس في قــراع الخطــوب
انت كالدلو لا عد مناك دلـــوا * من كبار الدلا كثير الذنـــوب

فاراد الحضور قتله ولكن الخليفة منعهم قا ئلا : انه اراد المدح ولكـــن بيئته اثرت فيه . ثم انه امر ان يبنى له قصر على شط الفرات فعاد اليه بعد عـــام تقريبا فاستنشده الخليفة فانشد على بن الجهم قصيدته المشهورة والتى مطلعها :ــ

عيون المهابين الرصافــة والجســر * جلبن الهوى من حيث ادرى ولا ادرى

وعود على بدء نقول ان ابن شهيد قد فهم تأثير البيئــة على الاديب فى اوضــح صوره واكمله وجــه كما هو واضح من خلال اقواله (٢) . كذلك لابن شهيد رأى فـــى الحرب واثرها على الادب والادباء قال :" (٣) وان الفتنة نسخ للاشياء ، مـــن العلوم والأهـــواء ، ترى الفهم فيها بائر السلعة ،خاسر الصفقة ،يلمح بأعــــين الشنآن ويستثقل بكل مكان . هذا دأبنا وحربنا " .

---

(١) هذه القصة وان كانت تدل على أن للبيئــة اثرا كبيرا فى اختلاف المفاهـــيم الا انها فى نظرى ليست على جانب كبير من الصحــة فى نسبتها الى علـــى بن الجهم لأنه لم يكن بدويا كما جاء فى الرواية وانما ولد فى بغداد وفـــى حى يدعى جليل وتربى فى بيئة كلها علم ورئاســـه ودخل فى صباه كتاتيـــب العلويين وكان اخوه مقربا عند المأمون الخليفة العباسي . فمن اين تأتيــــه البداوة !؟ " انظرعبد الرحمن الباشا . على بن الجهم حياته وشعره " .

(٢) لم يشر احد من النقاد الذين تكلموا عن ابن شهيد الى فهمه لتأثير البيئـــــة الا الدكتور احمد هيكل فانه قد اشار الى ذلك اشارة عابره . " الأدب ـــ الاندلسى دار المعارف بمصر ص ٢٢ . " ص ٣٩٦

(٣) ابن بسام ١/١ ص ١٧٩ .

الذى كان منشطا لطبيعة تلك الحروب مثل الشعر الجاهلى بين القبائل العربيـــة القديمة والافكيف نفسر بعض المعارك والفتن التى لم تواكبها الحركة الا دبيـــة مثل تلك الحروب الدامية فى عصر الدويلات والتى كان محصولها الشعرى قليـــلا جدا ۰ كذلك القضيـة الفلسطينيه التى لا نكاد نلمس لها اى اثر فى الادب العربى ما عدا بعض القصائد التى تتحدث عن الظلم والتوجد ۰

ولو استعرضنا كتب التاريخ لتبين لنا أن المعارك والحروب التى خاضهـــا المسلمون والعرب تفوق الحصـر ولكن ليس لأكثرها صدى فى الادب العربى ۰

ولكن على الرغم من ذلك كله فانا لانستطيع القول بأن ابن شهيد اوغيـــره من الادباء كانوا صامتين تماما اثناء الفتنـه وانما قد حدث من نشاطهم الادبـى كذلك انا نجدهم فى بعض الاحيان يتحدثون عنها اما نثرا او شعرا يقول شهيد (١) :

افى كل عام مصرع لعظـــيم ＊ اصاب المنايا حادث وقديمى

ويقول فى موضع آخـر (٢) :

يا كسرة دهمتنا ليس تنجـــبر ＊ وسبـة لحقتنـا مالهـا عـــذر

---

(١) ابن بسام ١/١ص ٢١٨
(٢) ابن بسام ١/١ ص ١٨٩

(الفصـــل الثالـــث)

" ثقافـــة الناقـــــد "

١ـ النحو :

لم يحدد الكتاب موقف ابن شهيد من النحو تحديدا دقيقـــا واضحا • فبعضهم تكلم عن آرائه فى هذا الموضوع ضمن الكلام عن البيـا ن فلم يكشف عن الموقف الحقيقى لابن شهيـد من النحو بل اكتفى بالاجمـــال فقط • ومما لا شك فيه ان الاجمال فى مكان التفصيل ليس مرغوبا فيـه •

والبعض الآخـر اتهم ابن شهيد بأنه تحامل على النحويين واللغويـين فصغر من شأنهم وشأن مؤلفاتهم • ولكن فيما يبدو أن هؤلاء فهمـــوا آراء ابن شهيد فى النحو على غير وجهها الصحيح فاظهروه بمظهـــر المسىء الى النحو والى اللغـــة العربيـــة بصفة عامة •

وسنحاول هنا ان نناقش هذه الآراء مناقشـــة موضوعية لنحدد بذلك موقف ابن شهيد من النحو تحديدا دقيقا معتمدين على اقواله فـــى هذا المجال •

قال ابن شهيـد (١) : " واصابـــة البيـــان لا يقوم بها حفظ كثير الغريـــب واستيفاء مسائل النـحو (٢) بل بالطبـع مع وزنـه من هذين " •

ويقول فى موضع آخـر (٣) : " وقول الجاحظ : انا اذا اكثرنا من يعلـم صبياننا النحو والغريب قنع منا بعشرين درهما فى الشهر ، ولو اكثرنـــا

---

(١) ابن بسام ١/١ ص ١٩٧

(٢) هذا تعبير ابن شهيد ويقصد به ان النحو واللغه يجب ان تكون بمقـــدار معين لدى صاحب الموهبـــة •

(٣) ابن بسام ١/١ ص ١٩٨

من يعلمهم البيان لما قنع منا بألف درهـم " ٠

فكثير من النقاد اعتمد على القولين السابقين او على غيرهما من اقوال ابن شهيد فقال انه قلل من شأن النحو واللغـة واستهان بالنحويين واللغويين ٠

ولكن اذا انعمنا النظر فى أقوال ابن شهيد فى هذا الصدد نجد انه يريـد ان يقول ان من اعتقد ان البيان محصور فى تعلم النحو واللغة فاعتقاده خاطـىء لأن النحو واللغـة يأتيان عن طريق الحفظ والدراسة بينما البيان يتمدى ذلـك الى شئ ربانى وهو الموهبـة او السليقة التى لا تتوفر فى كثير من الناس ولا تأتـى ايضا عن طريق التعليم وانما يمنحها الله سبحانه وتعالى فيخص بها اناسا دون آخرين وهذه الموهبـة اذا وجدت واتزن معها علم النحو واللغـة وجد البيان ٠

فنلاحظ ان ابن شهيد فى النص الأول يلتفت الى تلاميذه او الى جلسائـه الذين كانوا يرتادون مجلسـه طلبا للفائده ليقول لهم : اعلموا أنكم اذا طلبتـم البيان عن طريق حفظ الغريب من الكلمات والتعمق فى مسائل النحو الشائكـة فانكم مخطئون لأن البيان لا يتأتى بهذه الطريقة والالأصبح كل من تعلـم النحو واللغـة اديبا وهناك فرق كبير بين الأديب والعالم واقرب دليل على ذلـك شعر علماء اللغـة امثال الخليل ابن احمد الفراهيدى الذى كان شعره فى غايـة الركاكة ولكنه مع ذلك من خيرة علماء العربيه ٠ ويجب الا ننسى ايضا ان النحـو وجـد بعد البيان لأن هناك شعراء وخطباء فى العصر الجاهلى وصدر الاسـلام والنحو ــ كما يقال ــ لم توضع قواعده الا فى القرن الأول الهجـرى٠

كذلك ان النحو بوصفه صناعة منفصل عن البيان منذ نشأته ويدل على ذلـك قول الشاعر :

ولست بنحوى يلوك لسانـه * ولكـن سليقى اقول فاعـرب

واما القول الثانى فانه بلاشك رأى يستحق التقدير وهو مؤيد للأول او رده ابن شهيد كدليل او برهان يقوى به حجته • ويقصد به ان تعلم النحو يتساوى فيه المتعلمون مع اختلاف درجات فهمهم لأنه شئ مكتسب مثله فى ذلك مثل اى علم من العلوم الاخرى التى تعتمد على الحفظ والفهم والدراسة ولكن البيان من المستحيل تعليمه اذا لم تكن هناك موهبة تخلق مع الشخص وتنمو معه فى فترات نموه •

وقوله : " لما قنع منا بالف درهم " ليس معناه ان الأمر يتوقف على كثرة الدراهم او قلتها ولكن لأنه شئ صعب جدا اذا لم يكن من المستحيل ان تجعل من انسان ليست عنده موهبة بيانيه اديبا مرموقا •

كذلك يجب ان نعلم ان النحو عند ابن شهيد وسيلة الى غاية اخرى وهى سلامة التركيب وبيان المعنى المراد ، وليس هو غاية فى ذاته كما اعتقد بذلك المعلمون فى قرطبة فزعموا ان البيان يتم بتعلم النحو واللغة فعلموا التلاميذ ذلك واوهموهم أنهم من ارباب الفصاحة واصحاب البلاغة ، فجاء كلامهم متكلفا غثا خاليا من عناصر البيان الصحيحه •

ولم يكن هذا الرأى من ابتكار ابن شهيد وانما هو الهدف المقصود من وضع النحو فى الأصل وهو عصم اللسان عن الخطأ ، ثم تطورت تلك القواعد والقوانين حتى اصبحت عند البعض غاية فى ذاتها •

يقول ابن شهيد فى رسالة التوابع والزوابع مناظرا اوزة من اوز الجن فى هذا المجال : (١) " فقالت : ايها الفار المغرور ، كيف تحكم فى الفروع وانت

(١) ابن بسام ١/١ ص ٢٥٥

لا تحكم الأصول ؟ ما الذى تحسن ؟ قلت : ارتجال شعر ، واقتضاب خطبة ، على حكم المقترح والنصبه ، قالت : ليس عن هذا اسألك ، قلت: ولا بغير هذا اجاوبك ، قالت : حكم الجواب ان يقع على اصل السؤال ، وأنا انما اردت بذلك احسان النحو والغريب اللذين هما اصل الكلام ، ومادة البيان : قلت : لا جواب عندى غير ما سمعت " .

فقد نظر الى النحو على انه مقدمة ضرورية لتحقيق البيان ولكن لم يكن مقصودا فى ذاته . ولذلك يعرض ابن شهيد ببعض معلمى قرطبة فى قوله (١) : " وقوم من المعلمين بقرطبتنا ممن اتى على اجزاء من النحو ، وحفظ كلمات من اللغة ، يحنون على اكباد غليظه ، وقلوب كقلوب البعران ، ويرجعون الى فطن (٢) حمئة ، واذهان صدئة ، لا منفذ لها فى شعاع الرقة ، ولا مذهب لها فى انوار البيان " .

ومما يجب ملاحظته ان ابن شهيد اعترض على معلمى قرطبة ونحاتها المعاصرين له فانتقد طريقتهم فى تدريس البيان وتأكيدهم على جعل علم النحو غاية لا وسيلة ، ولكنه لم يعترض على علم النحو ذاته ولم يغفل اهميته ، كذلك أنه لم

---

(١) ابن بسام ١/١ ص ٢٠٥

(٢) ابن شهيد لم يكن اول من هاجم المعلمين وانتقد طريقتهم واستهتر بهم بل سبقه الى ذلك الجاحظ الذى الف كتبا فى هذا الشأن وصنف رسائل فى ذلك المضمار وأخرجهم فى صورة مثيرة للضحك والسخرية . ولكن نقد ابن شهيد للمعلمين يختلف عن نقد الجاحظ لهم فابن شهيد كان نقده ناتجا عن اثر خصومات ومصادمات وعوامل شخصية دعته الى ذلك النقد بينما الجاحظ كاتب عبقرى أراد ان يلم بكل شئ محيط به فى عصره فألف فى الحيوانات وفى البخلاء وفى الحمقى والمغفلين والبرصان والعرجان والف كذلك فى المعلمين ولسنا فى مجال المقارنه بين نقد ابن شهيد للمعلمين ونقد الجاحظ لهم وانما اردنا ان نعطى فكرة ميسرة .... استدعاها الموقف.

لم يقلل من شأن النحويين المشهورين امثال سيبويه والفراهيدي كما ذهب الى ذلك الاستاذ يعقوب زكي حينما قال (١) : " نراه يهاجم بشدة كل المعلمين ، حتى علماء النحو المشهورين من امثال سيبويه ويهاجم الكتب ."

وفيما يبدو ان الاستاذ يعقوب زكي اعتمد على قول ابن شهيد في رسالة " التوابع والزوابع " حينما كان يناظر صاحب ابن الا فليلي فقال (٢) : " قال : فطارحني كتاب الخليل . قلت : هو عندي في زنبيل . قال : فناظرني على كتاب سيبويه قلت : خريت الهرة عندي عليه ، وعلى شرح ابن درستويه " .

ويقصد ابن شهيد هنا انه لكثرة قراءته لهذه الكتب وفهمه اياها فهما جيدا اصبح لا يحتاج اليها فوضعها في الزنابيل او في اماكن اخرى . وهناك اقوال لابن شهيد نفسه تؤيد ذلك وتدحض التهمة الموجهة اليه . ففي رسالة " التوابع والزوابع " ذاتها ما يشير الى هذا فقد سأله تابعة الجاحظ عن صفة كلام قومه فاجابه ابن شهيد بما يدل على ايمانه بان النحو مقدمة ضرورية لتحصيل البيان . وقد جرى الحوار على النحو التالي (٣) : " فكيف كلامهم بينهم ؟ قلت : ليس لسيبويه فيه عمل ، ولا للفراهيدي اليه طريق ، ولا للبيان عليه سمة . انما هي لكنة اعجمية يؤدون بها المعاني تأدية المجوس والنبط فصاح . انا لله ، ذهبت العرب وكلامها ! "

فهل من المعقول ان من يقيس فصاحة العرب وكلامها بعمل سيبويه وطريق

---

(١) يعقوب زكي . مقدمة الديوان ص ٦٨
(٢) ابن بسام ١/١ ص ٢٣٤
(٣) ابن بسام ١/١ ص ٢٢٩

الفراهيدى يمود فيذمهما او يذم احدهما ويقلل من قدره (؟ كذلك ان ابن شهيد يمجد النحو ويعلى من قدره بل يعده اساسا من اسس البيان لا تتم الفصاحة الا به قال : (١) " وكما تختار مليح اللفظ ورشيق الكلام فكذلك يجب أن تختار مليح النحو ، وفصيح الغريب ، وتهرب من قبيحه " .

وفى هذا دليل قطعى على ان ابن شهيد يوجد علاقة قوية بين النحو والبيان لا تتم سلامة التركيب الا بها ولا تستكمل فصاحة الكلام الا بوجودها .

ومما تجدر الاشاره اليه فى هذا المقام مناقشة الدكتور زكى مبارك فى حكمه على ابن شهيد حينما قال : (٢) " ولكنه غلب على امره فصرح بشكواه من قلة انصاف النحويين له وتسلطهم عليه واسرافهم فى ثلبه . فلنفهم هذا جيدا قبل عرض آرائه لندرك ان اقواله مشربة بالضغن والحقد ، وأنه لا ينبغى أن نتخذها اساسا صالحا لتقدير العلوم العربية من نحو وصرف واشتقاق : لأن تلك العلوم ضروريه ، وليس من النفس ان نوافق ابن شهيد على الاستهانة بها وتحقير اهلها ، وان كنا نعرف انها لا تكفى وحدها لمنح طلاب الادب ملكة البيان " .

ومن الصحيح حقا ان هذا الاتهام الذى وجهه الدكتور زكى مبارك الى ابن شهيد لا يستند على اى دليل ولا يعتمد على اى برهان .

---

(١) ابن بسام ١/١ ص ١٩٩

(٢) الدكتور زكى مبارك جـ ٢ ص ٥٩

وان كنا لا تنفى ع ن ابن شهيد خصوماته الشخصيه مع النحاة والتى دعته الى انتقامهم واظهارهم بالمظهر الساخر ولكننا ننفى عنه هجومه على علم النحو — كما زعم الدكتور زكى مبارك — لأن ابن شهيد ليس من الغفلة بحيث يهاجم علما اعتمد عليه فهم كتاب الله عز وجل ولو فعل ذلك لا نبرى له علماء المسلمين واوقفوه عند حده (١) ٠

ولكن يزيد الامرعجبا حينما نرى الدكتور زكى مبارك يناقض اقواله فى اقل من صفحتين وذلك عندما قال (٢) : " وليس انحاء ابن شهيد على النحو والغريب معناه انه ينكر قيمة ذلك فى البيان ، كلا ، وانما يحتم ان يختار الكاتب املح النحو وافصح الغريب ٠ وملاحة النحو هذه لم ارها عند احد غير ابن شهيد ، وهو يريد بها اختيار الوضع النحو ى الذي يساعد على اداء المعنى ، فقد يكون الكلام مستقيما من الوجهة النحوية ولا يكون مستقيما من الوجهة البيانيه فان البلاغة فى الواقع تبنى على سلامة التركيب " ٠

---

(١) يقول عبد القاهر الجرجانى فى هذا الصدد : " وأما زهدهم فى النحو واحتقارهم له واصغارهم امره وتهاونهم به : فصنيعهم فى ذلك اشنع من صنيعهم فى الذى تقدم ، واشبه ما يكون صدا عن كتاب الله وعن معرفة معانيه ٠ ذلك لأنهم لا يجدون بدا من ان يعترفوا بالحاجة اليه فيه ٠ اذ كان قد علم أن الالفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الاعراب هو الذى يفتحها ، وأن الاغراض كامنة فيها حتي يكون هوالمستخرج لها ٠وأنه المعيار الذى لا يتبين نقصان كلام ورجحانه حتى يعرض عليه ، والمقياس الذى لا يعرف صحيح من سقيم حتى يرجع اليه " ٠ دلائل الاعجاز " دار المنار بمصر ١٣٦٧هـ ط ٤ " ص ٢٣ ٠

(٢) الدكتور زكى مبارك جـ٢ ص ٦١

وفى الختام نستطيع القول بان موقف ابن شهيد من النحو لم يكن موقفا هجوميا او انكاريا لتلك القيمة التى يقدر بها النحو ولكنه كان ناقما على نحاة قرطبة فهاجمهم واستهتر بهم فظن البعض انه هاجم النحو وقلل من شأنه فكما وضحنا سابقا ان الرجل يعلى من مكانة النحو الذى يعد حجر الاساس لجميع علوم اللغة العربية .

٢ـ ما يجب على الناقد مراعاته :

ويبين ابن شهيد ان على الناقد ان يلتزم ببعض المبادئ التي تهديه في تقويم العمل الفني كي يخرج حكمه سليما بعيدا عن الزلل (١) . فقال : " ومن الواجب على الناقد ان يبحث عن الكلام ، ويفتش عن شرف المعاني ، وينظر مواقع البيان ، ويحترس من حلاوة خدع اللفظ ، وبدع تزويق التركيب ، ويراطل بين أنحاء البديع ، ويمثل اشخاص الصناعة " .

وهذه النصائح قيمة وجديرة بالاهتمام تدل على حصافة ذهن ابن شهيد ورسوخ قدمه في هذا الميدان . وهو يسوقها بطريقة تشبه طريقة بشر بن المعتمر في صحيفته المشهوره . وليس بعيدا ان يكون ابن شهيد قد افاد منه في ذلك .

فيوصي ابن شهيد الناقد بأن ينظر الى جمال اللفظ وشرف المعنى وهما الركيزه الأولى للأدب وبهما يقوم الاديب وانتاجه الادبي .

كذلك يستحسن في الناقد ان يكون ذكيا نافذ البصيرة فلا يخدع بحلاوة الألفاظ وزخرفتها وزينتها البراق الذي يراه من اول وهله وانما يجب عليه ان ينظر ويتمعن في ما تحمله من معاني وافكار . وهذا يؤيد رأى ابن شهيد في قضية اللفظ والمعنى ـ السابقة الذكر ـ والتي يرى فيها ان الأدب الجيد هو الذي اكتملت جوانبه من لفظ ومعنى وسياق .

فعلى اى حال يجب على الناقد ان يكون على مستوى الاحكام التي يصدرها

---

(١) ابن بسام ١/١ ص ٢٦٥

فلا يتسرع فى الحكم على النصوص كى يكون حكمه اكثر موضوعيه وأقل خطأ .

ثم يتحدث ابن شهيد عن ابن دراج القسطلى الشاعر الاندلسى المعروف (١) فيقول : " والفرق بين أبى عمر وغيره أن ابا عمر مطبوع النظام ، شديد أسر الكلام ، ثم زاد بما فى أشعاره من الدليل على العلم بالخبر واللغة والنسب ، وما تراه من حوكه للكلام ، وملكه لأحرار الألفاظ ، وسعة صدره ، وجيشة بحره ، وصحة قدرته على البديع ، وطول طلقه فى الوصف ، وبغيته للمعنى وترديده ، وتلاعبه به وتكريره ، وراحته بما يتعب الناس ، وسعة نفسه فيما يضيق الأنفاس (٢) " .

وفى الواقع ان هذا الكلام على درجة كبيرة من الاهمية لأنه يعطينا المقاييس الحقيقيه لتقويم الشعر والتى تفيد كل ناقد فى اصدار حكم موضوعى بعيد عن التوقعات والافتراضات .

ويشير ابن شهيد فى نصه السابق الى المصادر الأوليه لثقافة الشاعر فى ذلك الوقت وهى اللغة والخبر والنسب والتى لا يستطيع ان يستغنى عنها الشاعر فى اكثر اغراضه الشعريه . وقد اشار الى ذلك كثير من النقاد قبل ابن شهيد وبعده فعرف ابن خلدون الأدب بقوله (٣) : " حفظ اشعار العرب واخبارها والأخذ من كل علم بطرف . "

---

(١) هو ابوعمر احمد بن دراج القسطلى من ابرز شعراء الاندلس واجودهم شعرا حتى انه كان يشبه المتنبى عند اهل الشرق — انظر ترجمته فى " ابن بسام ١/١ ص ٤٣ ، وفى الحميدى ص١٠٢ "

(٢) ابن بسام ١/١ ص ٤٥

(٣) ابن خلدون . مقدمة ابن خلدون " دار احياء التراث العربى — بيروت ط ٤ " ص ٥٥٣ .

فالأديب يجب ان يكون على درجة عالية من الاطلاع والثقافه والالمام بعلوم العصر الذى يعيش فيه •

اما قول ابن شهيد : " وراحته بما يتعب الناس " ففيه اشارة الى ان التمكن من اللغه وغريبها من مزايا الشاعر الجيد وكأنه يشير بذلك الى قول المتنبى :

انام ملء جفونى عن شواردها * ويسهر الخلق جراها ويختصم

ولكن فى الواقع ان التعمد فى البحث عن غريب الألفاظ ونوادرها ليس مرغوبا فيه فى بعض الأحيان •

" البـــــاب الثالـــــث "

(الجديد في نقد ابن شهيـــد)

الفصـــــــل الأول

آراء جديدة في موضوعات قديمـــــــة

١ــ موقف ابن شهيد من البيـان :

كان لابن شهيد موقف واضح من البيان وهو أنه موهبة الهية يمنحهـــــا الله من يشاء من البشـــر واذا لم تتوفر هذه الموهبـــة في الانسان لا يمكن بأية حال من الاحوال ان يصبح بليغا او من اصحاب البيان يقول في ذلك وهـــــو يحاور تابعة ابن الاقليلي [١] : " فقال لي : دعنك . أنا ابو البيـــــان قلت : لا ها الله ! اتئـــا انت كمفن وسط ، لا يحسن فيطـــــرب، ولا يسيء فيلهي ، قال : لقد علمنيه المؤدبون . قلت : ليس هو مــــــن شأنهم، انما هو من تعليم الله تعالى حيث قال : " الرحمن علم القرآن خلـــــق الانسان علمه البيان " ليس من شعر بفســــر ، وأرض تكســـــر . "

فهنا ينفي ابن شهيد تعليم البيان اذا لم تكن هناك موهبة [٢] أو ملكـــة فطرية تخلق مع الشخص . ولكن لا يعني ذلك انه يغفل اهمية الصقل أوالتدريب والا لما اشترط في المتعلم ان يكون نجيبا وشابرا وخير دليل على ذلك قصته مع اليهودي التي ذكرت في الذخيرة يقول ابن شهيد [٣] : " وقد كنا اطعمنــــا هذا الطعام بعض التلاميذ ، فاستطابه وعلم مقداره ، ولكن البطالة علـــــى الفتيان غالبـــة ، والسآمة عليهم مسئوليـــة ، فمن بنى على تعليم هذا الشـــأن فلا يعلم الا اهل النجابة والمثابرة على التعليم ، لأنه من لم ينجب له تلميـــذ حمل عليه ذلك النقص ، وظن به العجــز .

---

(١) ابن بسام : ١/١ ص ٢٣٤

(٢) هذه الفكرة ــ كما نعلم ــ ليست جديدة على النقد وانما قال بها نقاد كثيرون منهم العسكري والقاضي الجرجاني وابن الاثير وغيرهم وان كانت لآراء ابـــن شهيد في الموضوع سماتها الخاصة المميزة لها .

(٣) ابن بسام ١/١ ص ١٩٩ ــ ٢٠٠ .

جلس الى يوما يوسف بن اسحاق الاسرائيلى ، وكان أفهم تلميذ مر بى ، وانا اوصى رجلا عزيزا على من اهل قرطبة ، وأقول له : ان للحروف انسابا وقرابات تبدو فى الكلمات ، فاذا جاوز النسيب النسيب ، ومازج القريب القريب ، طابت الألفة ، وحسنت الصحبة ، واذا ركبت صور الكلام من تلك ، حسنت المناظر ، وطابت المخابر ، أفهمت ؟ قال لى : اى والله ! قلت له : وللعذوبة اذا طلبت ، والفصاحة اذا التمست ، قوانين من الكلام ، من طلب بها ادرك ، ومن نكب (١) عنها قصر ، أفهمت ؟ قال : نعم ، قلت : وكما تختار مليح اللفظ ورشيق الكلام ، فكذلك يجب أن تختار مليح النحو وفصيح الغريب ، وتهرب من قبيحه ، قال : أجل ، قلت : أتفهم شيئا من عيون كلام القائل :

لعمرك انى يوم بانوا ، فلم امت * خفاتا على آثارهم ، لصبور

غداة التقينا اذ رميت بنظرة * ونحن على متن الطريق نسير

ففاضت دموع العين حتى كأنها * لنا ظرها غصن يراح مطير

فقال : اى والله ، وقعت " خفاتا " موقعا لذيذا ، ووضعت " رميت " و " متن الطريق " وضعا مليحا . وسرى " غصن يراح مطير " مسرى لطيفا فقلت له : أرجو أنك تتسمت شيئا من نسيم الفهم ، فأغد على بشئ تصنعه ،

---

(١) نكب : عدل . انظر ابا بكر الرازى . مختار الصحاح " مكتبة المؤيد السعوديه بالطائف ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧١م " ص ٦٧٨ .

قال ابوعامر : وكان ذلك اليهودى ساكتا يمى ما أقول ، فغدا ذلك القرطبى فأنشدنى :

حلفت برب مكة والجمـال * لقد وزنت كروسى بالجبـال

فى ابيات تشبيهه . وجاء اليهودى فأنشدنى :

أيمم ركبانهم منعجـا * وقد ضمنوا قلبك الهودجـا ؟

واستمر الى آخـر قصيدته ، فأتى بكل حسن ، فقال لى ذلك القرطبـى شعر اليهودى احسن من شعرى ، قلت : ولا بأس بفهمك اذا عرفت هذا . ولـم يزل يتدرب باختلافه الى حتى ندى تربه ، وطلع عشبه ، ثم تفتح زهره ، وضـاع عبقـه . "

فيؤكـد ابن شهيد ان للصقل والتعليم اهمية كبيرة جدا ولكن من حرمـه الله نعمة الموهبة او الملكة فمن المستحيل تعليمه البيان وجعله من ذوى الفصاحـة يقول : " وقول الجاحظ : انا اذا كترينا من يعلم صبياننا النحو والغريـب قنع منا بعشرين درهما فى الشهر ، ولو اكترينا من يعلمهم البيان لما قنع منـا بألف درهـم . " (١)

ولم ينظر ابن شهيد فى هذا النص الى كثرة الدراهم او قلتها ـ كمـا وضحنا ذلك سابقا ـ وانما نظر الى الاستحالـة ، فالمعلم لن يقنع منا بالآلاف ـ

---

(١) ابن بسام ١/١ ١٩٨ .

الدراهم كي يعلم الصبيان البيان لأنه ليس قادرا على ذلك فهو خارج على استطاعته
ومن هذا النص تسرب الشك الى الدكتور احسان عباس (١) حين حكم على ابن شهيد
بعدم الوضوح يقول : " والمشكلة الكبرى عند ابن شهيد هى : هل من الميسور
أن يعلم الناس البيان ؟ واذا كان ذلك مستطاعا ، فلم يتفاوت الناس فيما يتلقونه
منه ؟ وموقف ابن شهيد من هذه المشكلة غير واضح ، فهو حينا يرى البيان موهبة
من الله ، ويعلى من قدر الموهبة ويجعلها تعويضا عن الاطلاع ، وينشى
رسالة التوابع ليدل على قيمة هذه الموهبة ، ويتهكم بالمؤدبين ويدل على
افتقارهم اليها . وحينا آخر يزعم أن البيان قد يعلم وان كان ذلك
امرا صعبا .

فموقف ابن شهيد ـ على العكس من ذلك ـ واضح تمام الوضوح وهو انه
لابد ان تكون هناك موهبة فطريه فتصقل وتنمى حتى تبلغ درجة معينة من الكمال
وهذا شئ تثبته التجارب العلمية لأن الموهبة بدون صقل وتدريب تصبح
قاصرة عن العطاء . فلابد لمن توفرت فيه ملكة الشعر ـ مثلا ـ ان يقرأ
للشعراء ويحفظ من اشعارهم الجيدة ليتجنب عيوبهم ويأخذ بمحاسنهم ومثل
ذلك من توفرت فيه موهبة الكتابة او اى موهبة أخرى . ولكن التدريب او التعليم
وحده لن يخلق لنا . مواهب مهما علت درجته وخير دليل على ذلك اشعار بعض

---

(١) احسان عباس . تاريخ الادب الاندلسى عصر سيادة قرطبة ص ١٤٣ .

العلماء التى لا تقارن بمستواهم العلمى والثقافى . وهذا ما لاحظه ابن شهيد عندما فرق بين العلم والثقافة وبين الملكة الأدبية والتى يسميها فى بعض الاحيان "طبعا" يقول : " واصابة البيان لا يقوم بها حفظ كثير الغريب ، واستيفاء مسائل النحو بل بالطبع مع وزنه من هذين ." (١) (٢)

ويؤكد هذا الرأى بضرب مثال حى من واقعه ينطبق عليه هذا الكلام وهم المعلمون فيقول عنهم : " وقوم من المعلمين بقرطبتنا ممن اتى على اجزاء من النحو ، وحفظ كلمات من اللغة ، يحنون على اكباد غليظه ، وقلوب كقلوب البعران ، ويرجعون الى فطن حمئة ، واذهان صدئة ، لا منفذ لها فى شعاع الرقة ، ولا مدب لها فى انوار البيان . سقطت اليهم كتب فى البديع والنقد فهموا منها ما يفهمه القرد اليمانى من الرقص على الايقاع ، والزمر على الألحان فهم يعرفون غرائبها فيما يجرى ، عندهم تعريف من لم يرزق آلة الفهم ، ومن لم تكن له آلة الصناعة ." . (٣)

ويقسم ابن شهيد اصحاب البيان الى ثلاثة اقسام حسب قدرتهم الادبية فيقول : " واهل صناعة الكلام متباينون فى المنزلة ، متفاضلون فى شرف المرتبة ، على مقدار احسانهم وتصرفهم . فمنهم الذى ينظم الاوصاف ، ويخترع (٤)

---

(١) ابن بسام ١/١ ص ١٩٧

(٢) ويقول ابن شهيد ايضا فى هذا المجال : " لا كقوم عندنا حظهم من الفهم الحفظ ، ومن العلم الذكر ، وهذا حظ القصاص ، واعلى منازل النواح " ابن بسام ١/١ ص ١٧٩

(٣) ابن بسام ١/١ ص ٢٠٥

(٤) ابن بسام ١/١ ص ٢٠٣ — ٢٠٤

المعانى ، ويحرز جيد اللفظ الا أنه يصعب عليه الكلام ، ويكد قريحته التأليف حتى انه ربما قصر فى الوصف ، وأساء الوضع. فهذا فى الابيات القليلة نافسره وفى القريبة المأخذ سائر ، وفى طريقة الجمهور الأعظم ذاهب ،حتى اذا ـ ازدحمت عليه ، وانحشدت اليه ، وطالبته ببهاء البهجة ، وشرف المنزلة، وقف وانفل ، وتلاشى واضحل .

ومنهم الكارع (١) فى بحر الفزارة ، القادح بشماع البراعة ، الذى يمر مر السيل فى اندفاعه ، والشؤبوب فى انصبابه ، لا يشكو الفشل ، ولا يتكل على طول العمل ، اذا ازدحمت فى الكلام عليه المطالب ، وعلقت بحواشى فكره المآرب، وحشرت عليه الصعائب والغرائب ، استقل بها كاهله ، واضطلع بثقلها غاربه واعارها من نظره لمحة ومن فكره قدحة ، ثم رمى على جانبيه قد رويت بمائها ، ولبس شعاع بهائها ، وبقى كاللقوة فى المرقب ، سام نظره قد ضم جناحيه ، ووقف على مخلبه ، لا تتاح له جارحة الا اقتصها ، ولاتنازله طائرة الا اختطفها ، جرأته كشفرته ، وبديهته كفكرته ،فذلك الالسن يوم حرب الكلام لا تخطئ ضربته ، ولا تصاب عزته .

ومنهم من يتجافى الكلام ،ويروغ من المقال ، فاذا منى به مأخذ بأطراف المحاسن ، وشارك فى انحاء من الصنعة ، وجل ما عنده تلفيق وحيله ، وبذلك يصاحب الأيام ،ويجارى ابناء الزمان ، ما كان له عقل يغطى على نقصانه ،

---

(١) كرع فى الماء تناوله بفيه من موضعه من غير أن يشرب بكفيه ولا باناء" انظر ابا بكر الرازى ص ٥٦٧ .

وسياسة يسوس بها فحول زمانه . ومن خرج عن هذه الطبقات الثلاث لم يستحق اسم البيان ، ولا يدخل في اهل صناعة الكلام . "

فالأول : عند ابن شهيد لديه الموهبة ولكنه قصير الباع فلا يجيد الا في الابيات القليلة .

والثاني : لديه الموهبة وطول النفس يستطيع ان يحتفظ بالجودة مهما طال به المسير . ومعنى ذلك انه يبدع الطوال الجياد .

والاخير : قليل الموهبة ولكن لديه الذكاء الذي يغطي به على نقص موهبته فيظهر بمظهر المبدع . والطبقات الثلاث في رأى صاحب النص يستحقون اسم الادباء دون من عداهم .

وهذا التقسيم يعد من مبتكرات ابن شهيد فلم يقم اى ناقد آخر بمثل هذا العمل بصرف النظر عن مدى اصابته في ذلك . ولكن على اى حال فانه يحمد لابن شهيد ذلك العمل التجديدي الذي يدل على أن هذا الرجل يحمل عقلية منتظمه تؤمن بالمنطق والنظام ، وهذا ليس غريبا على عقلية ابن شهيد التي نالت اعجاب العرب وكانت في " مستوى المدح والتقريظ الذي اضفاه عليه النقاد الاوربيون بسخاء "(١) .

---

(١) يعقوب زكي : مقدمة ديوان ابن شهيد ـ بيروت ص ٧٣

مراعاة مقتضى الحـال :

ومما تنبه اليه ابن شهيد في نقده ما يسمى " مراعاة مقتضى الحـال " وهو دراسة نفسية المستمع والظروف المحيطه به لتقديم ما يناسب ذلك الموقف.

وكان بشر بن المعتمر من اوائل الذين تحدثوا في هذه القضية في صحيفته (١) المشهوره . ولكن ابن شهيد عالجها بطريقته الخاصة لأنه اتى ببعض الامثلـة الحيـة التى كانت بمثابـة التطبيق العملى لتلك الأقوال ، وفيما يبدو انـه مقتنع باهمية هذه الناحيـة ، وما لها من اثر فى نجاح الاديب يقول (٢) : " لكـل من الناس ضرب من الكـلام ووجـه من البيان " .

وفى هذا اشارة الى تلك الفروق الفرديـه بين الناس واختلاف طبائعهـم وتفكيرهم لأن الله عز وجـل لم يجعل الناس فى مستوى واحـد فهنا ك تبايـن فى العقول والمراتب والحياة العامه وتبعا لهذا الاختلاف تختلف طرق محادثتهـم لأن الرجل العامى لا يكلم بنفس الاسلوب الذى تكلم به الملوك والوزراء ، وطريقـة نقاشك او محاورتك لانسان جاهل تختلف تماما عن طريقة مناقشة العالم ومحاورته وفى هذا يقول ابن شهيد (٣) : " وربما لا ذ بنا المستطعم باسم الشعر ممـن يخبط العامة والخاصة بسؤاله فيصادف منا حالة غير ذات فضلة ، لا تتسـع

---

(١) انظر البيان والتبيين ١ / ١٣٦ مكتبة الخانجى بمصر ط ٤ ١٣٩٥ ـ ١٩٧٥م
(٢) ابن بسام ١/١ ص ٢١٢
(٣) ابن بسام ١/١ ص ٢٠٠ ـ ٢٠١

له في كبيرة مبرة ، فنشاركه ونعتذر له ، وربما افدنا بأبيات يعتمد بها البقالين ومشيخة القصابين (١) ، فاذا قرعت اسماعهم ، ومازجت افهامهم ، درحلهم ، وانحلت عقدهم ، وجل شخص ذلك البائس في عيونهم ، فما شئت اذ ذاك من خبزة وثيرة يحشى بها كمه ، ورقبة سمينة تدفن في مخلاته ، ومن كوز فقاع (٢) يصب في فمه ، وتينة رطبة يسد بها حلقومه ، وسنبوسقة ودكة تدس تحت لسانه ، وفالوذجة رطبة يحنك بها حنكه ، فلا يكاد البائس يستتم ذلك حتى يأتينا فيكب على ايدينا يقبلها ، واطرافنا يلطمها ، راغبا في ان نكشف له السر الذي حرك العامة فبذلت ما عندها له ، وبادرت بدرها اليه ، وتعليمه ذلك النحو من أنحاء السحر لا نستطيعه ، لأن هذا الذي يريده منا هو تعليمه البيان ، وبين فكره وبينه حجاب ."

ومما يؤخذ على ابن شهيد هنا أنه لم يكشف عن تلك الاساليب التي تحرك العامة او الخاصة شأنه في ذلك شأن غيره من النقاد ويبدو أن هذا راجع الى ان هذه القضية تخضع للتقدير الشخصي والذوق الفردي مما يجعل وضع قواعد لها ضربا من التكلف.

---

(١) يقول الدكتور زكي مبارك حول هذا النص : " وتلك قصة نعرف بها كيف كان الشعر الفصيح ينفع من يستجدون البقالين والقصابين في الاندلس وكيف كانت تلين اللغة لمثل ابن شهيد حتى يخاطب بها في بلاغة جميع الطبقات " النثر الفني ٢/٦٤

(٢) فقاع : شراب . ابو بكر الرازي ص ٥٠٩

ومن الملاحظ ان العرب قد تنبهوا الى مثل هذه الاشياء منذ القدم ولذلك اهتموا بمطلع القصيدة وخاتمتها ، ولم يؤثر عنهم التغزل فى قصائد الرثاء (١) ، يقول الجاحظ : " ومدار الامر على افهام كل قوم بمقدار طاقتهم ، والحمل عليهم على اقدار منازلهم (٢) . "

ويبلغ من اهتمام ابن شهيد بهذه القضية انه لم يلزم الاديب بمراعاة الموقف فقط بل اوجب عليه ايضا ان ينظر المواقع التى يغزو بها نفس المستمع مهما كانت الاحوال فيقول فى ذلك (٣) : " واصعب من هذا تحريك البخلاء من الكبراء الى البذل ، لانهم بعادتهم لا تمكن نقلتهم لعزتهم ، ولما اشتملت عليه ثياب مجدهم ،فلا ينجع تقريظهم ،فها هنا يحتاج الى اثقب ما يكون من الذهن ، واوسع ما يمكن من الحيلة ، الا ان هذه العصابة لا يتمكن لذى التفاهة تحريكها ، ولابد لها من طبقة يكون لها فى المين بعض التصويب والتصعيد . "

وفى هذا دليل على ان الاديب يجب ان يكون ذكيا وينظر الى الأمور بمنظار دقيق فلا يأتى فى موقف الحزن بما يفرح ولافى موقف الفرح بما يحزن والا كانت النتيجة عكس ما اراد وهذا يذكرنا بقول احد الملوك لشاعر من

---

(١) الاما روى عن مرثية دريد بن الصمة فى اخيه التى مطلعها :
أرث جديد الحبل من أم معبد * بعافية وأخلفت كل موعد ؟
ابن رشيق : العمدة ٢/١٥١ .
(٢) الجاحظ : البيان والتبيين ١/٩٣
(٣) ابن بسام ١/١ ص ٢٠١

الشعراء : (١) " ان الموت حق ، وان لنا فيه نصيبا ، غير أن الملوك تكره ذكر ما ينكد عيشها ، وينغص لذتها ، فلا تأتنا بشئ مما نكره ذكره ." وفى هذا الصدد يقول ابن شهيد : (٢) " ان لكل مقام مقالا ." واكثر ما برزت مثل هذه النواحى فى الخطب السياسيه لأن من اهدافها استمالة الجماهير وكسب صفوفها ولا يتم ذلك الا اذا خوطبوا بما يفهمون وبما يوافق ميولهم وعقولهم .

ونستفيد من كل ذلك ان ابن شهيد فهم هذه القضية فهما جيدا بل انه جعلها شرطا اساسيا فى نجاح الاديب وشهرته لأنه استطاع ان يصل بينه وبين المستمع . يقول الدكتور زكى مبارك : (٣) " ويرى ابن شهيد أن البلاغة تختلف باختلاف أقدار المخاطبين ومعنى هذا أن البلاغة صلة نفسية بين المتكلم والمخاطب فهى ترجع الى فهم المتكلمين لنفوس المخاطبين وعلى ذلك لا يكون اساس بلاغة الكلام صلاحيته لأن يلقى الى جميع الناس فى جميع الاحوال ، وانما بلاغة الكلام ان يبلغ بصاحبه الى الغرض الذى يرمى اليه عند الخطاب ..... وجملة القول فى هذا المعنى أن البلاغة ضرب من السياسة النفسية ."

---

(١) ابن رشيق ١/٢٢٢
(٢) ابن بسام ١/١ ص ٢٠٢
(٣) زكى مبارك ٢ص ٦٥ ـ ٦٦

ومن ما سبق يتبين لنا أن ابن شهيد نظر الى فكرة مقتضى الحال نظـرة نفسية ففرق بين المخاطبين نفسيا اضافـة الى الفرق بينهم فى القدرة علـى الفهم كما قال العرب وبذلك يكون عند ابن شهيد شئ من التجديد فى هـذه الناحيه. وفى حقيقـة الأمـران الحالـة النفسيـه للمستمع مهمـة جـدا لأنها تؤثـر على سائـر مدارك الشخص واحاسيسـه.

السجــــع :

عاش ابن شهيد في عصر طغى فيه السجع على بقية الاساليب بل انـــــه اصبح من خصائص ذلك العصر كما يقول الدكتور زكي مبارك (١) : " التزام السجـع صار من خصائص النثر الفني في القرن الرابع .... ولم يخرج من كتاب هـــذا العصر الى الحريـة في الصياغـة الفنيـة الا عدد قليل ."

ولكن لا يفهم من هذا ان ابن شهيد من الذين يجيدون السجع اويتعصبـون له كما فعل بعض الكتاب في ذلك الوقت ولكنه فيما يبدو ليس مقتنعا بهذا الاسلوب وانما كان لذوق العصر واعجاب اهلـه بالسجع وشغفهم به دخل كبير في اذعانـــه للكتابة بذلك الاسلوب (٢) وهذا ما يوضحـه الحوار الذي دار بينه وبين تابعـــة الجاحظ في رسالـة التوابع والزوابع (٣) : " فقال : إنك لخطيب وحائـــك للكلام مجيد ، لولا أنك مغرى بالسجـع ، فكلامك نظم لا نثر . فقلت في نفـسي : قرعك ـ بالله ـ بقارعته ، وجاءك بمماثلته ، ثم قلت له : ليس هذا ـ أعـزك اللـه ـ ر منى جهلا بأمر السجع ، وما في المماثلة والمقابلة من فضل ، ولكنـي عدمت ببلدي فرسان الكـلام . ودهيت بغباوة أهل الزمان ، وبالحرا أن احركهـم (٤) بالازدواج (٥) . ولو فرشت للكلام فيهم طولقا ، وتحركت لهم حركة مشولم ، لكـــان

(١) زكي مبارك ١ /١٣٧

(٢) نحن هنا لا نعالج الموقف من ناحيـه ادبيـه لنبين خصائص اسلوب ابن شهيد وانما نعرض الى ذلك من ناحية نقدية وهو موقفه من السجع.

(٣) ابن بسام ١/١ ص ٢٢٩ ـ ٢٣٠

(٤) في روايه الكلاعي : " أن احركهم بذلك " الكلاعي : احكام صنعة الكـلام . دار الثقافـه بيروت ١٩٦٦ م ص ٢٣٧ . وهناك بعض الفقرات التي يختلـف فيها الكلاعي مع ابن بسام صاحب الذخيره.

(٥) " الشالم والشولم والشيلم كراع الزؤان الذي يكون في البر سوادية" انظـــر ابن منظور . لسان العرب " الدار المصريه للتأليف والترجمة " جـ ١٥ ص ٢١٧.

أرفـع لى عندهم ، وأولج فى نفوسهم ، فقال : أهذا على تلك المناظر ، وكبر تلك المحابر ، وكمـال تلك الطيالس ؟ قلت : نعم ، انها لحاء الشجر ، وليس ثم ثمر ولاعبق . قال لى : صدقت ، انى أراك قد ماثلت معـى . قلت : كما سمعت قال : فكيف كلامهم بينهم ؟ قلت : ليس لسيبويـه فيه عمل ، ولا للفراهيـدى اليه طريق ، ولا للبيان عليه سمة . انما هى لكنة أعجمية يؤدون بهـا المعانى تأديـة المجـوس والنبط . فصاح : انا لله ، ذهبت العـرب وكلامها ! ارمهم يا هذا بسجع الكهان (١) ، فعسى أن ينفعك عندهم ، ويطيـر لك ذكرا فيهم . وما أراك مع ذلك الا ثقيل الوطأة عليهم ، كريه المجـئ اليهم . فقال الشيخ الذى الى جانبه ، وقد علمت أنه صاحب عبد الحميـد ، ونفسـى مرتقبـة الى ما يكـون منـه : لا يغرنك منه أبا عيينه ـ تابعة الجاحظ ـ ما تكلف لك من المماثلـة . ان السجـع لطبعه ، وان ما اسمعك كلفه . ولو امتـد به طلق الكـلام ، وجـرت افراسـه فى ميدان البيان ، لصلى كودنه ، وكـل برذنه . "

وفى هذا النص نجد ابن شهيد يقف من السجع موقفا سلبيا ويرمى ابنـاء عصره بالجهل ويربط بين ذلك وبين حبهم المتناهى للسجع مما يدل على أنـه رأى أن ذوق العصر يهتم بالشكل ولا يهتم كثيرا بالجوهر ولهذا ذهب الـى ان السجع المستحب لديهم هو ما يشبه سجع الكهان الذى نهى عنه الرسول صلـى

---

(١) يقصد هنا ابن شهيد اما ان الادباء لابد لهم ان يعودوا الى الادب الجاهلى ، والاصالـة العربية كى يقوى اساسهم وتصقـل مواهبهم . او انه اراد ان هـذه الاذواق فاسدة حتـى اصبحت تفضل السئ على الحسن .

الله عليه وسلم لما فيه من الخرافات ، واذا نظرنا اليه من الناحية الفنية وجدناه متكلفا يبدو عليه اثر الصنعة الممقوته .

ولكن ابن شهيد فى حقيقة الأمر قسا كثيرا على ابناء تلك الفترة لأننا لو استعرضنا التاريخ لوجدنا انه عاش فى عصر يزخر بالادباء والعلماء الافاضل الذين لا ينكر فضلهم ولا يغمط حقهم وخير دليل على ذلك رسالة ابن حزم (١) فى فضل الاندلس التى ذكر فيها من ادبائها وعلمائها ما يفوق الحصر. ثم يبدأ موقف ابن شهيد فى الاعتدال حين يشترط فى السجع الذى يمكن أن يقبل شروطا لا نكاد نجدها عند كثير من النقاد يقول فى ذلك (٢) : " ان لسجعك موضعا من القلب ، ومكانا من النفس ، وقد اعرته من طبعك ، وحلاوة لفظك ، وملاحة سوقك . "

ولا يتحقق ذلك ـ كما نعلم ـ الا اذا كان السجع خاليا من التكلف والتعسف حلو اللفظ مليح السياق فيصبح بذلك مقبولا عند الجميع .

وفى الحقيقة ان الادباء فى الاندلس كانوا ينقسمون الى قسمين فبعضهم كان يترسل فى اسلوبه مقتدين بعبد الحميد وسهل بن هارون والجاحظ وغيرهم والقسم الآخر كان يسجع مقتدين بابن العميد وابن حيان وبديع الزمان وغيرهم .

---

(١) انظر المقرى : نفح الطيب ٣ / ١٧٨
(٢) ابن بسام ١/١ ص ٢٣٠

وفى واقع الامر ان اصحاب الترسل يرون السجع قيدا للاديب يحول بينه وبين الانطلاق وراء فكرته ولذلك يجعل اللفظ والحصول عليه همه وغايته مما يجعله فى بعض الاحيان يلجأ الى الالفاظ المعقدة والغريبة مراعاة للفاصلة مما يحدو بهذه الاساليب الجنوح الى الابهام والغموض.

ويستدلون أيضا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم فى ذم السجع (١) " اسجعا كسجع الكهان (٢) ".

واما الفريق المقابل وهم اصحاب السجع فيرون انه لون من الوان البلاغة ويستدلون بوجوده فى القرآن الكريم وهو ابلغ كتاب عرفته البشرية وفيه القدوة الحسنه ويفسرون حديث الرسول صلى الله عليه وسلم بقولهم : انه لم يذم السجع ولو اراد ذلك " لقال (٣) : اسجعا ، ثم سكت ، وكيف يذمه ويكرهه ، واذا سلم من التكلف ، وبرئ من التعسف لم يكن فى جميع صنوف الكلام احسن منه (٤). " ويقول ابن الاثير : " وقد ذمه بعض اصحابنا من ارباب هذه الصناعة ، ولا أرى لذلك وجها سوى عجزهم ان يأتوا به ، والا فلو كان مذموما لما ورد فى القرآن الكريم (٥). "

---

(١) ابو هلال العسكرى : الصناعتين ص ٢٦٧ .
(٢) وفى رواية " اسجع كسجع الأعراب " وفى رواية اخرى : " اسجع الجاهلية وكهانتها " وفى رواية ايضا " انما هذا من اخوان الكهان " سنن ابى داود ط ١ " ١٣٧١هـ ـ ١٩٥١م ." مصطفى البابى الحلبى ج١ص : ٤٩٧ ، ص ٤٩٩ .
(٣) ابو هلال العسكرى : ٢٦٧ (٤) ابن الاثير . المثل السائر " نهضة مصر ط١ ١٣٧٩هـ ـ ١٩٥٩م " ج١ ص ٢٧١ (٥) لقد عالجت كتب الاعجاز فى القرآن الكريم موضوع السجع فى القرآن فمنهم من اثبته ومنهم نفاه وبعضهم سماه فواصل كالباقلانى وللاستزادة يرجع الى هذه الكتب.

وعلى الرغم من ان ادباء الاندلس كانوا بصفة عامة يقتدون بالمشارقه على اختلاف عصور الأدب فى المشرق فان من الملاحظ ان الكاتب الواحد يمكن ان يسجع احيانا وان لا يسجع احيانا اخرى ولكن ذلك لم يكن قاصرا على الاندلسيين فقد عرفت امثلة لذلك فى المشرق ايضا عند الآمدى والباقلانى والعسكرى والحاتمى وغيرهم (١) • وهذا يبطل الاعتقاد الذى قال به الدكتور شوقى ضيف (٢) من ان ذلك كان مقتصرا على ادباء الاندلس يقول : " ابن شهيد لا يستخدم فيها ــ رسالة التوابع والزوابع ــ دائما اسلوب السجع بل تارة يسجع وتارة لا يسجع وهذا معنى قولنا ان الكاتب الكبير فى الاندلس لم يكن يخضع فى صنع نماذجه لمذهب معين من مذاهب المشرق ، بل هو ــ على نحو ما نرى الآن عند ابن شهيد ــ كان يتقلب بين المذاهب والمناهج المختلفة " •

فالأدلة تخالف ما ذهب اليه الدكتور شوقى ضيف كما رأينا •

---

(١) الدكتور زكى مبارك ١٣٧/١

(٢) الدكتور شوقى ضيف • الفن ومذاهبه فى النثر العربى " دار المعارف بمصر ط ٥ " ص ٣٢٣

٤ـ بناء القصيـــده :

من القضايا التى عالجها ابن شهيد فى نقده الخروج على ذلك النظـام المتبع فى القصيدة العربيـة منذ العصر الجاهلى ، وهو ما يسمى بالمقدمـــة الطللية وانكاره الشديد على الشعراء الذين يولون هذه المقدمة اهتمامـــا ينسيهم الغرض الاساسى الذىمن اجلـه انشئت القصيده فلا يشيرون اليـــه الا اشارة بسيطة لا تفـى بالمطلوب.

يقول ابن شهيد (١) : " ومما يلزم المدعى لصناعة الكـلام اذا اعتمـــد وصف حالـة أن يستوفى جميعها ، ويكون ما يطلبـه من الابداع والاختـــراع فيها غير خارج عنها وما هو بسبيلها ، فذلك أبهى لكلامه ، وافخم للمتكلـــم به ، وأدل على ان الكـلام له ومن تأليفه ، لا كما شهدته يوما عند ابن حمـــود وقد صدر عن ابن الشــرب ، ومدحـه عدة شعراء ، صدور أشعارهم لزينـــب والرباب ولميس وفرتنى ، وأعجازها للجود والكرم وبذل اللهى ، ولم يلمـــم أحد منهم بذلك الغرض او المغزى الافى بيتين أو ثلاثـة . "

وهذا يعطينا فكـــرة عن حالة الشعر فى عصر ابن شهيد وانه لم يزل ملتزما بتلك القيود العربية كمـا هو الحال عند شعراء المشرق . ومن المناســب هنا ان نذكر تلك القصـة التى رويت عن والى خراسان فى عصر بنى اميـــة (٢) : " كان بعض الرجاز اتى نصر بن سيار والى خراسان لبنى اميـه فمدحـه بقصيـــدة

---

(١) ابن بسام ١/١ ٢٧٣
(٢) ابن قتيبـــه ١/ ٧٦

تشبيبها مائة بيت ومديحها عشرة ابيات فقال نصر : والله ما ابقيت كلمة عذبة ولا معنى لطيفا الا وقد شغلته عن مديحي بتشبيبك فان اردت مديحي فاقتصد في النسيب ".

وفيما يبدو أن عند ابن شهيد نزعة تحررية تميل الى انكار تلك التقاليد التي قيدت بها القصيدة العربية القديمة ، وهذه محاولة ترجع الى ابي نواس في القرن الثاني الهجري الذي يقول : (١)

صفة الطلول بلاغة القدم * فاجعل صفاتك لابنة الكرم

لاتخدعن عن التي جعلت * سقم الصحيح ، وصحة السقم

وصديقة الروح التي حجبت * عن ناظريك ، وقيم الجسم

ويقول أيضا : (٢)

لا تبك ليلى ،ولا تطرب الى هند * واشرب على الورد من حمراء كالورد

ولكن الدافع الرئيسي لابي نواس في هذا الانكار هو الشعوبية او التعصب ضد العرب وتحقير تقاليدهم والدليل على ذلك انه استبدل بالمقدمة الطللية مقدمة اخرى تصف الخمر وهذا استبدال تقليد بتقليد ليس اكثر من ذلك بل ان الوقوف على اطلال المحبوبة والتغزل فيها اصدق احساسا واعمق تجربة من وصف الخمر. (٣) خلافا لما يعتقده الدكتور حسين عطوان حين يقول : (٤)

---

(١) ابو نواس . الديوان ص ٥٣٩ (٢) ابو نواس . الديوان ص ١٨٠.

(٣) يقول الدكتور طه حسين عن دعوة ابي نواس : " يذم القديم ـ لا لأنه قديم ـ بل لأنه قديم ، ولأنه عربي ، ويمدح الحديث ـ لا لأنه حديث ـ بل لأنه حديث ، ولانه فارسي ، فهو اذن مذهب تفضيل الفرس على العرب ، مذهب الشعوبيه المشهور " حديث الاربعاء دار المعارف بمصر ط ١١ جـ ٢ ـ ص ٩٠ . وقال بذلك الرأى أيضا الاستاذ العقاد الذى استدل على ذلك =

" وفى رأينا أن ابا نواس لم ينزع منزعا شعوبيا فى دعوته وثورته ، انما كان يهدف الى الصدق الفنى ." (١) اما الدكتور شوقى ضيف فقد عزا ذلك الى مجونه وخلاعته . وفى الواقع ان الادلة لا تؤيد ما ذهب اليه اى من الدكتورين .

ولكن هناك بعض من نادى بالتحرر من هذه المقدمة أنكارا لها واحتجاجا على كونها شرطا فى كل قصيدة . ويقوم نقد هؤلاء على عامل فنى خالص بصرف النظر عن مدى اصابتهم فى ذلك ، يقول المتنبى (٢) :ـ

اذا كان مدح فالنسيب المقدم * اكل فصيح قال شعرا متيم

وقد لاقت هذه الدعوة صداها عند كثير من الشعراء الذين خرجوا على هذه التقاليد امثال البحترى والمتنبى وغيرهما متدثين بالغرض الاساسى فى القصيدة دون مقدمات او خاتمات (٣) . يقول ابن رشيق : " ومن الشعراء من لا يجعل لكلامه بسطا من النسيب بل يهجم على ما يريده مكافحة ويتناوله مصافحة ."

= بتهديد الخليفه له وامره بالكف عن ذلك . ابو نواس الحسن بن هانىء " مطبعة الرسالة " ص ١٤٤ .

(٤) الدكتور حسين عطوان . مقدمة القصيدة العربية " دار المعارف بمصر ١٩٧٤ م " ص ١١٣ .

(١) الدكتور شوقى ضيف . العصر العباسى الأول " دار المعارف بمصر ١٩٦٥ م " ص ٢٣١ .

(٢) المتنبى . الديوان جـ ٤ ص ٦٩

(٣) ابن رشيق ٢٣١/١

ومن الملاحظ ان ابن شهيد خالف في شعره المبدأ الذى نادى به في نقده (١) فلو نظرنا الى قصيدته في مدح ابى مروان والتى مطلعها :

منازلهم تبكى اليك عفاءها * سقتها الثريا بالفرى نحاءها

لوجدنا ان ابيات الغزل فيها تبلغ اربعة عشر بيتا بينما ابيات المدح لا تتجاوز ثلاثة عشر بيتا • وشبيه بذلك قصيدته التى مدح بها عبد العزيز المؤتمن (٢) ومطلعها :

اذن الديك فثبت او ثوب * وانضح القلب بماء العنب

وفى هذه القصيدة بالذات دليل على أن دعوة ابى نواس السابق ذكرها كانت معروفة عند شعراء المغرب فهذا ابن شهيد يفتتح قصيدته بذكر الخمر كما فعل ابو نواس في قصائده •

ويدل هذا على الانفصام بين شعر ابن شهيد ونقده ذلك أنه في نقده متحرر لا يؤمن بالتقيد بالمقدمة الطللية ولابأية مقدمة غيرها • في حين أنه في شعره يحافظ احيانا على المقدمة الطللية بل يلتزم احيانا اخرى بالمقدمة الخمرية •

ومما يجدر ذكره ان ابن شهيد فطن الى وحدة العمل الادبى في اوضح صورها (٣) وذلك حين يقول : " مما يلزم المدعى لصناعة الكلام اذا اعتمد

---

(١) يعقوب زكى الديوان ص ٨٢
(٢) يعقوب زكى • الديوان ص ٩٢
(٣) ابن بسام ١/١ ص ٢٧٣

وصف حالـة أن يستوفى جميعهـا ، ويكـون ما يطلبـه من الابداع والاختراع فيها غير خارج عنها وما هو بسبيلها ، فذلك أبهى لكلامه ، وافخم للمتكلـم به ، وأدل على ان الكلام له ومن تأليفه ."

ويعد ابن شهيد من اقرب النقاد الى فهم وحـدة العمل الادبـى لأن اكثرهم اعتنى باجزاء القصيدة من مدح او ذم او غزل وتوثيق الصلة بين هذه الاغـراض (١) ولم يفطن احد منهم الى وحـدة العمل الادبـى فى القصيدة على نحو ما نفهـم اليوم ولهذا لم ينافى بناء القصيدة الجاهليـة ، فى فهمهم ، مع تأليف المعانى فى الوحـدة العامة كمـا دعا اليها امثال ابن طباطبا ، اذ نراه - على الرغـم من توكيده هذا التأليف والانسجام بين المعانى - يقول (٢) : " ويسلك (الشاعر) منهاج اصحاب الرسائل... فيحتاج الشاعر الى أن يصل كلامه - على تصرفـه فى فنونه - صلة لطيفة ، فيتخلص من الغزل الى المديح ، ومن المديح الـى الشكوى ، ومن الشكوى الى الاستماحـة بألطف تخلص واحسن حكاية ، بـلا انفصال للمعنى الثانى عما قبله ، بل يكون متصلا به وممتزجا معه ." وفـى هذا يرى ابن طباطبا أن مجـرد وصل آجزاء القصيدة على نظامها الجاهلـى فى جمعها بين الغزل والمدح ، أو وصف الديار والآثار والنوق - وحدة لها ، فلا يكون المعنى الثانى منفصلا عما قبله متى تخلص الشاعر اليه تخلصـا

(١) الدكتور محمد غنيمى هلال - النقد الادبى الحديث " الانجلو المصرية ط ٥ ١٩٧١م"

(٢) ابن طباطبا ص ٦

حسنا ، وأن كان فى الواقع مغايرا للمعانى التى سبقته ، ولامبرر لجمعهـــا معا الا النظام التقليدى ، كالجمع بـين الغزل والمدح ، أو بين الآثـــار والقيافى والنوق والشكوى والاستماحـة ....

ان نقاد العرب لم يأتوا بجديد فيما يخص وحدة العمل الفنى ... فكانـت عنايتهم بالاجزاء وتوثيق الصلة بينها اشد من عنايتهم بوحدة العمل الفنى جملة."

لكن ابن شهيد — بلا شك — استوعب هذه القضية وتبلورت فى ذهنـــه فعبر عنها تعبيرا دقيقا وان كان فى حديثه شىء من الايجاز كما اشار الـــى ذلك الدكتور احمد هيكل (١) فقال : " لمع ابن شهيد بحديث موجـز عـــن الوحدة الفنيـة ، فذكر أنه على من يتعرض لمعالجـة موضوع أن يستوفى جوانبـــه أولا ، والا يخرج عما هو بسبيله ثانيـــا ".

---

(١) الدكتور احمـد هيكـل ص ٣٩٧.

الفصـل الثانـــــــي

" ارتياد بعـض القضايا الجديــــــدة "

مما لا شك فيه ان ابن شهيد ناقد عبقرى وعقليـة غير عاديـة لأنه استطاع ان يكون رائدا لبعض الآراء الجديدة التى يعود الفضل فيها اليه ، كذلـك ان بعض نظرياتـه او ارا ئه لم تكتشف الا فى هذا العصر كما سوف نوضح .

فاقل ما يمكن أن نقوله عن ابن شهيد انه رجل ابداعى او متحرر ـ اذا صح هذا التعبير ـ لا يومن بالتعميه وان كانت بعض اقواله لا تستند على أساس علمـي وانما هو نتاج البصيرة النافذة والذكاء الخارق .

ففى هذا الفصل تعرض ابن شهيد للالهام الشعرى فنظر اليه نظـــرة تختلف عن نظرة بقيـة النقاد ، كذلك اشار الى المنهج التاريخـى ، ثـــم تكلم عن علم الجمال بطريقة جديدة ، وجعل المعارضه دليلا على تفوق الشاعـر ثم ربط بين اعضاء الاديب وقدرته العقليـه ، واخيرا اشار الى هيئة الاديـب واهميتها فى كمـال شخصيتـه .

وكـل هذه القضايا كما نرى فيها شىء من الجدة والطرافـة .

اولا : الالهـــام الشعـــــــرى

تكلم ابن شهيد عن الالهام الشعرى او ما اصطلح على تسميته عند العـرب بشياطين الشعراء ٠ وهى فكرة قديمة جدا تزعم ان لكل شاعر شيطانا يلهمـــــه (١) الشعر ويساعده على نظم القصائد ٠ بل تخيلوا ان للجن قبائل وبطونـــــا متعددة قياسا على حياتهم التى يعيشونها ، فمنهم بنو الشيصبان الذين ذكرهم (٢) حسا ن بن ثابت فى قولـه :

اذا ما ترعرع فينا الغـــــلام * فما ان يقال له من هـــــــوه

اذا لم يسد قبل شق الا زا ر * فذلك فينا الذى لا هــــــوه

ولى صاحب من بنى الشيصبان * فطورا ا قول وطورا هــــــوه

(٣)
وهناك من قال : ان فيهم امراء وشيوخا انظر الى قول الراجز :ـ

انى ـ وان كنت صغير السن * وكان فى العين نبـو عنـــــى

فان شيطانى امير الجـــــن * يذهب بى فى الشعر كل فن

ولقد وقف النقاد حيال هذه القضيـــة مواقف متعدده ولكن افضل من علل هذه النظرة (٤) عند العرب ابن حـزم الذى رد ذلك الى ما ألقى فى روعهم من ان الجـــــــن

---

(١) هذا الاعتقاد كا ن سائدا الى وقت قريب عند بعض قبائل الجزيرة العربيـــة فتزعم ان الشاعر يلازمه شيطانه ويساعده خاصة فى المناظرا ت الشعريـــــة واعنى هنا شعراء النبط او الشعر الشعبى ٠

(٢) حسان بن ثابت : الديوان ج ١ ص ٥٢٠

(٣) الدكتور محمد حسين عبدالله : مقدمة فى النقد الادبى دار البحوث العلمية الكويت ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م ط ١ ص ٢٦٤ ـ ٢٦٧

(٤) محمد عبدالمنعم خفاجى ٠ الحياة الأدبيه طبع سنة ١٩٤٩م ص ١٧٦

مصدر قوه خارقه يعجز الانس عن القيام بمثلها . وهذا التعليل نصيبه من الصحة كبير لانه يعكس نفسية العرب وانطباعهم عن الجن فكما روى انهم كانوا يخافونهم خوفا شديدا الى درجة انهم اذا هبطوا واديا وارادوا المبيت فيه قالوا : نعوذ بسيد هذا الوادى من سفهاء قومه بل ان بعض العرب كانوا (١) " يعبدون الجن ، ويجعلونهم شركاء الله ، بيدهم الضر والنفع ، والخير والشر . "

فجاء الاسلام وبين ان الانسان هو سيد هذا الكون ورد اليه كرامته التى منحها من عند الله ولذلك اوصى الرسول صلى الله عليه وسلم المسلم اذا هبط مكانا موحشا ان يقول اللهم انى اعوذ بك من الخبث والخبائث .

وكان العرب يرون فى سلوك الشاعر بعض الغرابه فيأتى ـ مثلا ـ بكلام لا يستطيع احد منهم ان يأتى بمثله ، ويعمل اعمالا غريبة وشاذه فى بعض الحالات فاذا اراد الهجاء (٢) " لبس حلة خاصه ، لعلها كحلل الكهان وحلق رأسه وترك له ذؤابتين ودهن أحد شقى رأسه ، وانتعل نعلا واحدة . " ومثل ذلك ما روى عن جرير فى رده على هجاء البعيث حين يتقلب على فراشه عريانا . وبالطبع كل هذه الاشياء جعلتهم يحكمون على الشاعر بأن له شيطانا يلهمه الشعر ويساعده على قوله .

---

(١) الدكتور محمد غنيمى هلال : النقد الادبى الحديث ص ٣٦٦

(٢) شوقى ضيف : العصر الجاهلى دار المعارف بمصر ١٩٦١م ص ١٩٧

ولكن السؤال المطروح هو ان هذا شعور المستمعين ولكن ما هو شعور الشاعر نفسه الذى يؤكد ان هناك من يلهمه الشعر ؟!

وهنا نقول ان نشأة هذه الفكره ربما ترجع الى ان الشاعر يلاحظ ان الشعر يأتيه عفويا سهلا فى بعض الاحيان ويستعصى عليه فى بعضها الآخر دون ان يجد تفسيرا معقولا لذلك فلجأ الى فكرة الشياطين فى محاولة منه لفهم هذه الظاهره . وقد رأى الشعراء بعد ذلك انهم يزدادون هيبة فى اعين المستمعين وهذا بالطبع ما يريده كل شاعر لنفسه .

فالجن عالم خفى لا يستطيع احد رؤيته كما يقول ابن حزم (١) : " قال ابو محمد : وهم يروننا ولانراهم قال تعالى : " انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم " فصح ان الجن قبيل ابليس قال الله عز وجل " الا ابليس كان من الجن " قال ابو محمد : واذا اخبرنا الله عز وجل اننا لا نراهم فمن ادعى انه يراهم أو رآهم فهو كاذب الا أن يكون من الانبياء عليهم السلام فذلك معجزة لهم . "

ونعرض هنا الى رسالة " التوابع والزوابع " التى تدور حول هذا الموضوع لنبين من خلالها موقف ابن شهيد من فكرة شياطين الشعراء .

وبدايتها ان بعض معاصريه استغرب منه هذه العبقريه وجزم بانها لاتصدر منه وحده فلابد ان تكون هناك قوة اخرى تؤيده فقال (٢) : " كيف أوتى الحكم صبيا ، وهز بجذع نخلة الكلام فاساقط عليه رطبا جنيا ؟ أما ان به شيطانا

---

(١) ابن حزم : الفصل فى الملل والاهواء والنحل المطبعة الادبيه سنة ١٣٢٠ هـ جـ ٥ ص ١٢

(٢) ابن بسام : ١/١ ص ٢١٠

يهديه ، وشيصبانا يأتيه ! واقسم ان له تابعة تنجده ، وزابعة تؤيده ليس هذا فى قدرة الانس ، ولاهذا النفس لهذه النفس ."

فيقول له ابن شهيد اجابة على سؤاله ومبينا قصة اتصاله بعالم الجن (١) : " كنت ايام كتاب الهجاء ، احسن الى الادباء ، واصبوالى تأليف الكلام ، فاتبعت الدواوين ، وجلست الى الاساتيذ ، فنبض لى عرق الفهم ..

... وكان لى اوائل صبوتى هوى اشتد به كلفى ، ثم لحقنى بعد ملل فى اثناء ذلك الميل . فاتفق أن مات من كنت اهواه مدة ذلك الملل ، فجزعت واخذت فى رثائه يوما فى الحائر ، وقد أبهمت على ابوابه ، وانفردت فقلت :

تولى الحمام بظبى الخدور * وفاز الردى بالغزال الغرير

الى أن انتهيت الى الاعتذار من الملل الذى كان ، فقلت :

وكنت مللتك لا عن قلى * ولاعن فساد جرى ، فى ضميرى

فارتج علىّ القول وأفحمت ، فاذا أنا بفارس بباب المجلس على فرس ادهم كما بقل وجهه ، قد اتكأ على رمحه ، وصاح بى : أعجزا يا فتى الانس ؟ قلت : لا وأبيك ، للكلام أحيان ، وهذا شأن الانسان ! قال لى : قل بعده :

كمثل ملال الفتى للنعيم * اذا دام فيه وحال السرور

فأثبت اجازته ، وقلت له : بأبى أنت ! من أنت ؟ قال : أنا زهير بن نمير من أشجع الجن . فقلت : وما الذى حداك الى التصور لى ؟ فقال : هوى فيك ، ورغبة فى اصطفائك . قلت : اهلا بك أيها الوجه الوضاح ، صادفت

---

(١) ابن بسام : ١/١ ص ٢١١

قلبا اليك مقلوبا ، وهوى نحوك مجنوبا • وتحادثنا حينا ثم قال : متى شئت استحضارى فانشد هذه الابيات :

والى زهير الحب ياعزانه * اذا ذكرته الذاكرات أتاها

اذا جرت الأفواه يوما بذكرها * يخيل لى أنى أقبل فاها

فأغشى ديار الذاكرين وان نأت * أجارع من دارى هوى لهواها

واوثب الادهم جدار الحائط ثم غاب عنى • وكنت أبا بكر متى أرتج علىّ أو انقطع بى مسلك ، أو خاننى أسلوب أنشد الابيات فيمثل لى صاحبى فأسير الى ماأرغب وأدرك بقريحتى ما أطلب • وتأكدت صحبتنا ، وجرت قصص لولا ان يطول الكتاب لذكرت اكثرها • "

ولكن فيما يبدو ان ايمان ابن شهيد بشياطين الشعراء كان على سبيل الفكاهة والمزاح فقد قال ابن بسام عن رسالته " التوابع والزوابع " (١) وان صدرت عنه مصدر هزل ، فتشتمل على بدائع وروائع • "

وذكر فى بعض الكتب انه سماها " شجرة الفكاهة " (٢) مما يدل على أن القضيه عند ابن شهيد لا تؤخذ مآخذ الجد • ومما يؤكد ذلك ايضا تلك الاشعار التى اتى بها على السنة البغال والحمير والتى تثير الضحك وتبعث السرور فى النفس يقول ابن حيان : " (٣) وله رسائل كثيرة فى فنون الفكاهة وانواع التعريض والاهزال " •

---

(١) ابن بسام ١/١ ص ٢١٠
(٢) الحميدى • ص ٣٧٤
(٣) ابن بسام ١/١ ص ١٢٢

ولكن اذا صرفنا النظر عن مجمل رسالة " التوابع والزوابع " والتى تعد فى حد ذاتها عملا جديدا ، فانا نجد عند ابن شهيد فى هذا المجال بعض الابتكارات التى ينسب فضلها اليه • من ذلك مساواته بين الكتاب والشعراء فى ان لكل منهم شيطانا يلهمه فنه الخاص به لأن الاعتقاد السائد منذ القدم أن الشياطين تتصل بالشعراء فقط دون غيرهم •

وكأن ابن شهيد بعمله هذا يلقى بعض الاسئلة الانكاريه • فلماذا يكون للشاعر شيطان ولايكون للكاتب مثل ذلك على الرغم ان مجاليهما يكاد يكون واحدا ؟!

ولكن الأمر عند ابن شهيد يتعدى ذلك فقد جعل للمشايخ وللكبراء توابعا من الجن يقول : "(١) وكانت فى البركة اوزة بيضاء شهلاء ، فى مثل جثمان النعامة ، كأنما ذر عليها الكافور ، او لبست غلالة من دمقس الحرير ، لم ار اخف من رأسها حركة ، ولا احسن للماء فى ظهرها صبا ، تثنى سالفتها ، وتكسر حدقتها ، وتلولب قمجد وتها ، فترى الحسن مستعارا منها ، والشكل ما خوذا عنها •••• فقلت لزهير : ما شأنها ؟ قال : هى تابعة شيخ من مشيختكم تسمى العاقلة وتكنى أم خفيف • "

ويقول ايضا (٢) : " فتبسم زهير وقال لى : هو تابعة كبير منكم ففهمتها عنه "

---

(١) ابن بسام ١/١ ص ٢٥٤
(٢) ابن بسام ١/١ ص ٢٥٢

ثانيا : المنهج التاريخي

اشار ابن شهيد في نقده الى ما يسمى بالمنهج التاريخي وهو دراسة الاطوار التاريخيه التي مرت بها ظاهرة ادبية معينة .

فقد تكلم ابن شهيد عن الاطوار التي مرت بها الكتابة الفنية خلال العصور المختلفة فقال (١) : "وكما ان للدنيا دولا ، فكذلك للكلام نقل وتغاير في المادة . الا ترى أن الزمان لما دار كيف أحال بعض الرسم الأول في هذا الفن الى طريقة عبد الحميد وابن المقفع وسهل بن هارون وغيرهم من اهل البيان ؟ فالصنعة معهم أفسح باعا ، وأشد ذراعا ، وانور شعاعا (٢) ، لرجحان تلك العقول ، واتساع تلك القرائح في العلوم .

ثم دار الزمان دورانا ، فكانت احالة اخرى الى طريقة ابراهيم بن العباس ومحمد بن الزيات وابني وهب ونظرائهم ، فرقت الطباع ، وخف ثقل النفوس . ثم دار الزمان فاعترى أهله باللطائف صلف ، ورقة الكلام كلف ، فكانت احالة اخرى الى طريقة البديع وشمس المعالي وأصحابهما . "

فاذا كان حديث الجاحظ عن العصا والبخل والبيان يعد من اوليات (٣) المنهج التاريخي لأنه جمع كل ما قيل فيها فان ابن شهيد بعمله هذا اقرب

---

(١) ابن بسام ١/١ ص ٢٠٢ ـ ٢٠٣

(٢) اقتران الصنعة بالتطور العقلي رأى قيم وجدير بالملاحظه لانجده عند كثير من النقاد (٣) انظر الاستاذ سيد قطب . النقد الادبي " دار الشروق بيروت " ص ١٥١ .

الى ذلك من الجاحظ . وان كان كل منهما ليس له علم بهذا التقسيم الحديث الذى اصطلح عليه (١) فى هذا العصر . وانما طبقت اقوالهما على هذه المناهج كما هى الحال فى اقوال بقية الادباء .

وقد عرف الاستاذ سيد قطب المنهج التاريخى بقوله (٢) : " فاذا نحن تجاوزنا ذلك الحد ، فرغبنا مثلا فى أن ندرس مدى تأثر العمل الادبى أو صاحبه بالوسط ومدى تأثيره فيه ، أو فى دراسة الاطوار التى مر بها فن من فنون الادب او لون من الوانه ، أو فى معرفة مجموعة الآراء التى ابديت فى عمل ادبى او فى صاحبه ، لتوازن بين هذه الآراء ، أو لنستدل منها على لون التفكير السائد فى عصر من العصور ، أو اذا حاولنا أن نجمع خصائص جيل او امة فى آدابها ، وأن نصل بين هذه الخصائص ، ومجموعة الظروف التى احاطت بها ، او اذا اردنا أن نحرر نصا او عدة نصوص فنتأكد من صحتها وصحة نسبتها الى قائلها .... الى امثال هذه المباحث التى تخرج عن عملية التقويم الفنية الفردية للعمل الادبى ولصاحبه ، فان المنهج الفنى وحده لا ينهض بشىء من هذا . ولابد ان نلجأ حينئذ الى منهج آخر هو : " المنهج التاريخى " . "

ونلمس هذا المنهج واضحا فى نص ابن شهيد السابق الذى تكلم فيه

---

(١) الاستاذ سيد قطب فى المرجع السابق قسم المناهج الى اربعة اقسام ١ ـ المنهج الفنى ٢ ـ المنهج التاريخى ٣ ـ المنهج النفسى . ٤ ـ المنهج المتكامل . (٢) الاستاذ سيد قطب ص ١٤٤

عن الاطوار المختلفة للكتابة الفنية والتى ابتدأت بعبد الحميد الكاتب كما هو معروف ثم سارت فى طرق متعددة الى ان وصلت الى ما هى عليه فى عهد ابن شهيد • وقد ذكر ابن شهيد نماذجا معروفه ومشهوره من الكتاب الراسخين فى هذا الفن والذين يختلفون فى طرق كتاباتهم عن بعضهم بعضا ـ كما وضح ذلك ابن شهيد نفسه •

ومما لا شك فيه ان هذا يدل دلالة قطعية على ثقافة هذا الناقد وسعة اطلاعه وقراءته الجاده عمن سبقه من الادباء••

ونستخلص من نص ابن شهيد السابق تقسيما محددا لمدارس الكتابة الفنية فى النثر العربى فنراه يجملها فى ثلاثة مدارس الأولى مدرسة الصنعة المقبولة وهى التى لا تكلف فيها الا ما وقع اتفاقا من غير قصد وهى التى اطلقت النثر من قيوده وتتسم بالوضوح والايجاز وجزالة الالفاظ وذكر من اصحابها عبد الحميد الكاتب وعبد الله بن المقفع وسهل بن هارون ويعدون هؤلاء • الرواد الأوائل لهذه المدرسه حسب ترتيبهم الزمنى •

والمدرسة الثانيه عبر عنها ابن شهيد برقة الطباع وخف ثقل النفوس وهى التى زهدت فى الغريب وقنعت بعفوى القريحه ووحى الساعة• (١)

اما المدرسة الثالثة فهى التى التزمت بالسجع فى اغلب الاحيان وكان

---

(١) محمد كرد على " مراد البيان " دار الامانه بيروت ط ٣ ١٣٨٨هـ ١٩٦٩ ص ٢٥٢ •

كلامهم عذبا رشيقا وصنعتهم دقيقة (١) ولطيفة كما هى الحال فى نثر بديع الزمان الهمذانى وشمس المعالى قابوس بن وشمكير.

ثم سار ابن شهيد على هذا المنهج عند حديثه عن الصنعة فى الشعر العربى فقال : " الشعراء (٢) انتقلوا عن المادة فى الصنعة بانتقال الزمان ، وطلب كل ذى عصر ما يجوز فيه ، وتهش له قلوب اهله ، فكان من صريع الغوانى وبشار وابو نواس واصحابهم فى البديع ما كان ، من استعمال أفانينه ، والزيادة فى تفريع فنونه. ثم جاء ابو تمام فأسرف فى التجنس ، وخرج عن المادة. وطاب ذلك منه ، وامتثله الناس ، فكل شعر لا يكون اليوم تجنيسا أو ما يشبهه تمجه الآذان ، والتوسط فى الأمر أعدل ، ولذلك فضل أهل العصر صريع الغوانى على ابى تمام لأنه ليس ديباجة المحدثين على لأمة العرب ، فتركب له من الحسن بينهما ما تركب. "

لكن من الملاحظ ان المنهج (٣) التاريخى لا يستقل بنفسه فلابد ان يكون فيه قسط من المنهج الفنى لأن التذوق والحكم ودراسة الخصائص الفنيه ضرورية فى كل مرحلة من مراحله ولكن يجب ان نقتصد فى ذلك لئلا يفقد هذا المنهج وضعه الصحيح.

وكما ان للمنهج التاريخى محاسن فان له عيوبا واخطارا ايضا فمن اخطاره انه يغفل الاحكام الخاصه على كل شخصيه مما يجعل فيه بعض الظلم للعبقريات ... الفرديه.

(١) زكى مبارك ج ٢ ص ٣٤٠ ، ٣٤٤ (٢) ابن بسام ١/١/٢٠٣
(٣) انظر سيد قطب ص ١٤٤.

ثالثا : علـــم الجمـــــال

عند ابن شهيد بعض النظرات النقديـــه الجديدة على النقد العربـــى والتى لم يقل بها اى ناقد سواه حتى هذه اللحظـة وخاصة من نقـــــــاد الادب العربى من ذلك قوله : (١) " فمن كانت نفسه المستوليـة على جسمه فقـد تأتى منه فى حسن النظام ، صور رائقة من الكلام تملأ القلوب ، وتشغف النفـوس. فاذا فتشت لحسنها أصلا لم تجده ، ولجمال تركيبها اسسا لم تعرفه ، وهـــذا هو الغريب ، أن يتركب الحسن من غير الحسن ، كقول امرى القيس :

الا عـم صباحـا ايها الطلل البالــــــى

وقولـــه :

تنورتها من اذرعات واهلها * بيثرب أدنى دارها نظر عالى

فان هذه الديباجـــة اذا تطلبت لها اصلا من غريب معنى لم تجده ، وكقـــول ابى نواس :

طرحتم من الترحال ذكرا فغمنـــا * فلو قد شخصتم صبح الموت بعضنـــا

ثم قال فيها :

سا شكرالى الفضل بن يحيى بن خالد * هواك ، لعل الفضل يجمع بيننا

فهذا من الكلام الغث ، واللفظ الرث ، الذى لو رامه حمار الكساح لأدركه ، ولكن له من التملق بالنفس ، والاستيلاء على القلب ما ترى . "

---

(١) ابن بسام : ١/١ ص ١٩٧.

وكان للنقاد حول هذا النص وجهات نظر متعددة فقد سمى الدكتور زكى مبارك هذه الفكرة " طبعـا " فقال (١) : " وهذا الكلام يمثل جانبا مـن جوانب البلاغـة عند ابن شهيد : وهو جانب الطبع . ومعنى ذلك أنـه يتفق لنا أن نعجب بفقرة من النثر ، أو بيت من الشعر ، بدون أن يكـون لما أعجبنا به معنى غريب . "

وكأن الدكتور زكى راجـع نفسه فوجد ان هذا القول لا يكفى للتوضيـح فعاد ليقول (٢) : " وكل هذا جدير بالتأمل والدرس ففيـه شرح لما استغلـق على النقاد أزمانا كثيرة ، ألسنا نرى فى بعض الرسائل والخطب والقصائـد نماذج فاتنـة ، وهى مع ذلك خلو من غرائب المعانى ؟ فلنعرف الآن أن السر فى اعجابنا بأمثال تلك النماذج مرجعـه الى الطبع والروح . "

وبعض النقاد فسر قول ابن شهيد على اساس انه يعد البلاغة (٣) " نوعـا من الالهام ، أو شيئا من الغيبيات أو سرا من أسرار النفوس . " وان كـان هذا القول صحيحا الا أنه لا يوضح الهدف الذى رمى اليه ابن شهيد مـن وراء هذه الاقـوال .

وفى الواقع ان ابن شهيد يشير فى النص السابق الى علم الجمـال ذلك العلم الذى ما زالت بعض جوانبه غامضة الى هذه اللحظـه .

---

(١) الدكتور زكـى مبـارك جـ ٢ ص ٦٧
(٢) الدكتور زكـى مبـارك جـ ٢ ص ٦٨
(٣) الاستاذ احمد ضيـف : ص ٥٥

ومن الملاحظ ان هذه النظرة خاصة بابن شهيد فهو أول ناقد استطاع أن يكون مفهوما عن هذا العلم قريبا من مفهوم علماء اوربا فى العصور الحديثه .

واذا كان الغزالى وابو حيان التوحيدى وابن سينا وغيرهم قد فهموا شيئا عن علم الجمال كما اشار الى ذلك الدكتور عز الدين اسماعيل (١) فان ابن شهيد نظر اليه من زاوية تختلف تماما عن نظرتهم فكان مجددا فى ذلك كما يقول الدكتور احسان عباس (٢) : " وهذه نظرية طريفة فى الجمال " تركيب الحسن من غير الحسن " تعد من ابتكار ابى عامر ، ولعله يعنى بها ان كل جزء على حدة ليس فيه جمال ، فاذا تركب الاجزاء شعت بجمال ناجم عن التركيب المنسجم . "

ونظرة ابن شهيد هذه قريبة جدا من نظرة الفيلسوف الالمانى " كانت " الذى يرى ان (٣) : " الجميل هو الذى يروق كل الناس . دون حاجة الى افكار عامة مجردة ، وذلك انه لا سبيل لنا الى معرفة شئ عام عالمى دون افكار تجريديه عامة تستطيع بها تقويمه ، الا الجمال . "

فاذا أردنا ان نقارن بين نظرة ابن شهيد ونظرة " كانت " نجد انهما تكادان ترميان الى هدف واحد وهو ان الجمال سر من اسرار النفس البشرية يصعب تحليله او تقييده بقواعد ثابته .

---

(١) انظر الدكتور عز الدين اسماعيل - الاسس الجماليه فى النقد العربى - دار الفكر العربى ط٣ ١٩٧٤م ص ١٢٨ - ١٧١
(٢) الدكتور احسان عباس. تاريخ النقد الادبى عند العرب ص ٤٧٩
(٣) الدكتور محمد غنيمى هلال : ص ٣٠١

ومما يجدر ذكره ان الاستاذ يعقوب زكى لاحظ تلك الروح الحديثه فى كلام ابن شهيد عن الجمال يقول : (١) " وبالرغم مما فى لغة ابن شهيد من روح عصرية حديثة مدهشة ، فانه هو أيضا مثل علماء علم الجمال فى العصر الحديث لم يقترب قيد انملة من الوصول الى تحليل للغز الخالد فى عملية الخلق الفنى . "

ولكن الاستاذ يعقوب زكى يقسو على علماء الجمال حين يقول انهم لم يقربوا من تحليل علم الجمال لأن لهم جهودا لا ينكر فضلها فى هذا المضمار استطاعوا من خلالها ان يوضحوا أشياء كثيره كانت غامضة .

اما قول ابن شهيد : " فهذا من الكلام الغث ، واللفظ الرث ، الذى لو رامه حمار الكساح لأدركه . " فلأنه عاب فى البيت الأول القافيه وعاب فى البيت الثانى المعنى ـ لأن الشاعر وضع الفضل بن يحيى فى موضع لا يليق به . ولكن على اى حال فان البيتين جميلا ومقبولان .

وأخيرا نستطيع القول بأن ابن شهيد اشار الى نظرية فى علم الجمال ، وان كانت ليست مبنية على تجارب علمية ثابته وانما هى نتاج البصيرة النافذه ، والذكاء الخارق . وعلى كل حال فانا نحيى فى ابن شهيد هذه القدرة العقليه الفائقه .

---

(١) الاستاذ يعقوب زكى ـ مقدمة الديوان ص ٧٠

رابعا : اسلوب الرجل هو الرجل

كان ابن شهيد يؤمن بأن اسلوب الاديب ومنهجه يدل على شخصيته لأن الشاعر او الكاتب فى بداية الطريق يبدأ فى التقليد وهذه مرحلة لايستغنى عنها اى شخص مهما كانت موهبته ثم بعد ذلك يستمر فى التحصيل والممارسة حتى تصبح له فى يوم من الأيام طريقته الخاصه وشخصيته المستقله التى لا يشاركه فيها غيره ويعرف بها بين الناس وهذا ما نشاهده على سبيل المثال عند : العقاد وطه حسين والمازنى وغيرهم فان امثال هؤلاء اذا عرضت اعمالهم على انسان تمكن من اساليبهم واكثر القراءة لهم فانه لا محالة يرد كل نص الى صاحبه ولو لم يذكر اسمه على ذلك النص ، وهذه تجربة قد تمر بأى شخص منا اذا سمع بيتا من الشعر يقول : كأن هذا البيت للشاعر الفلانى وهكذا مما يدل على ان هناك ارتباطا وثيقا بين النص وبين صاحبه الذى انشأه . ويروى لنا ابن شهيد فى رسالة التوابع والزوابع حوارا جرى بينه وبين تابعه ـ الجاحظ ـ فيشكو اليه ابن شهيد قلة الفصاحة والبيان عند ابناء قومه ولكن تابعة عبد الحميد الكاتب يعترض عليه قائلا :(١) " فقال الشيخ الذى الى جانبه ، وقد علمت انه صاحب عبد الحميد ونفس مرتقية الى مايكون منه : لا يغرنك منه أبا عيينه ما تكلف لك من المماثلة . ان السجع لطبعه ، وان ما اسمعك كلفة . ولو امتد به طلق الكلام ، وجرت افراسه فى ميدان البيان ، لصلى كودنه ، وكل برذنه . وما اراه الا من اللكن الذين ذكر ، والا فما للفصاحة

---

(١) ابن بسام ١/١ ص ٢٢٩ ـ ٢٣٠

لا تهدر ، ولا للأعرابيــة لا توصض ؟ فقلت فى نفسي : طبع عبد الحميــد وساقــه ورب الكعبــة ! "

وهذا بلا شك يدل دلالــة قطعية على ان ابن شهيد كان مؤمنا بهـــذه الحقيقــة التى ادلــى فيها برايه قبل ان يأتى كل من يوفون الذى قال (١) : " ان أسلوب الرجــل هو الرجل نفســه " .

وفلوبــير الذى قال (٢) ان الاسلوب " طريقــة الكاتب الخاصــة فى رؤيـــة الاشياء " . ففى الحقيقــة أن صاحب الفضــل الأول فيها هو ابن شهيـــد ونستطيع ان نعدها من مبتكراته لأنى لا اعلم ناقدا قبل ابن شهيد تعـــرض لهذه القضية لا بالتلميـح ولا بالتصريح ، وهذا ليس غريبا على ابن شهيـــد لانه اتى بأشياء لم يعرفها اكثر النقاد كما سوف يتبين لنا فيما بعد .

يقول الاستاذ (٣) احمد ضيف فى هذا الضمار : " هذا شيء طريف فى النقــد الادبى عند العرب ، وكأنه يشير الى مذهب النقاد الذين يأخذون صور الكتـــاب من كتاباتهم ، ويقولون ان البلاغــة من نثر ونظم تدل على نفوس البلغاء وفـــى هذا الكلام اشارة الى مذهب علمى فى النقد " .

وفى النص السابق لابن شهيد دليل واضح على اتساع ثقافته وكثرة اطلاعـــه لأن معرفة منهج الاديب وتمييز طريقته لا تتم الاعن طريق القراءة الجادة التـــى

---

(١) الدكتور عز الدين اسماعيل : الادب وفنونه ط ٥ ١٩٧٣ دار الفكر العربى ص ٣٦ ـ ٣٧ .
(٢) الدكتور عز الدين اسماعيل : الادب وفنونه ص ٣٧
(٣) الاستاذ احمد ضيف ص ٥٥

تكون خصائص معينه لذلك الاديب وهذا يبطل المعتقد الذى يقول به ابن حيان فى كتاب الذخيره من أن ابن شهيد قليل الاطلاع يقول :(١) " فيقود الكلام كما يريد عن غير اقتناء للكتب ، ولا اعتناء بالطلب ولا رسوخ فى الادب فانه لم يوجد له ـ رحمه الله ـ فيما بلغنى بعد موته كتاب يستعين به على صناعته ويشحذ من طبعه الا ما لا قدر له . "

وقد تسرب الشك الى ابن حيان من خلال نص ابن شهيد الذى يقول فيه :(٢) " ويسير المطالعة من الكتب يفيدنى " ولكن ابن شهيد يقصد انه لتوقد ذكائه ودقة ملاحظته فانه يكتفى بالنظرة السريعة العابرة على اى كتاب يقرأه والا فكيف نفسر حفظه لأشعار القدماء وحديثه عن الكتاب وخوضه فى مواضيع النقد المتعددة التى لا تتيسر لقليل الثقافة . وفى الحقيقه ان جميع ما بين ايدينا عن ابن شهيد من شعر او نثر يعارض قول ابن حيان ويبطله دون ان يحتاج ذلك الى اثبات.

---

(١) ابن بسام : ١/١ ص ١٦٣
(٢) " " : ١/١ص ٢١١

خامسا : المعارضة

يرى ابن شهيد ان المعارضه (١) نوع من التفوق وان الشاعر الذى يعارض الشعراء القدماء ويناقضهم ـ على حد تعبيره ـ شاعر مجيد وبارع يقول ابن شهيد عن عبدالرحمن بن ابى الفهد (٢) ـ احد شعراء الاندلس ـ : "غزير المادة واسع الصدر حتى انه لم يكد يبقى شعرا جاهليا ولا اسلاميا الاعارضه وناقضه ، وفى كل ذلك تراه مثل الجواد اذا استولى على الامد ، لا ينثنى ولا يقصر ، وكانت مرتبته ايام بنى عامر دون مرتبة عبادة فى الزمان ، فاعجب."

وفى الواقع ان عد المعارضة نوعا من تفوق الشاعر رأى جديد كل الجدة على تاريخ النقد الادبى عند العرب بصرف النظر عن مدى صحته اوعدمها يقول الدكتور احسان عباس (٣) : " ولأول مرة نرى ناقدا يقر مبدأ المعارضة معيارا للتفوق ،فنجد ابن شهيد ناقما على النقاد الذين كانوا يتولون ديوان الشعراء لأنهم أخروا عبد الرحمن بن ابى الفهد وقدموا عليه عبادة بن ماء السماء ."

---

(١) المعارضه الشعريه : هى ان يقلد الشاعر اللاحق شاعرا سابقا عليه او فى عصره فيختار قصيدة من قصائده لينسج على منوالها قصيدة اخرى بشرط ان تكون موافقة لها فى البحر والقافيه وفى بعض الاحيان فى الموضوع نفسه . وامثلة ذلك فى الأدب العربى كثيره مثل معارضة شوقى للبوصيرى فى نهج البرده ، ومعارضته ايضا لأبى العلاء المعرى فى القصيدة الداليه الفلسفيه ، ومعارضته للبحترى ايضا فى سينيته الى غير ذلك. الحميدي ، ص ٧٧

(٣) الدكتور احسان عباس . تاريخ النقد الادبى عند العرب. ص ٤٧٧

ولكن الحقيقة ان اى تقليد غالبا ما يكون اقل قيمة من المقلد لأن مقلد الشىء لابد ان يكون قد أعجب به غاية الاعجاب والاعجاب دلالة على الاجلال والتقدير ، بل انه فى بعض الاحيان يدل على شعور المرء بالقصور عما اعجب به . والشاعر حينما يعارض شاعرا آخر فانه يقلده أولا فى البحر والقافيه وهما من العناصر المهمة فى الشعر فترى الشاعر المعارض لا يكلف نفسه مشقة التفكير فى اختيار البحر ولايهرع الى المعاجم والدواوين كى يقتنص بعض الكلمات المناسبه للقافيه . ثم انه قد يفيد من بعض افكار الشاعر الذى يريد ان يعارضه " . ولاشك أن المبدع له الفضل الذى لا ينكر .

ونستنتج من نص ابن شهيد السابق ايضا انه يوافق ابن سلام الجمحى فى جعل الكثرة شرطا اساسيا فى اعلاء مكانة الشاعر .

ولكن الواقع ان الكثرة بدون جودة لا تساوى شيئا لأن المقياس الحقيقى لمكانة الشعر هو اقبال الناس عليه ولايتم ذلك الا اذا كان الشعر جيدا ، وكلنا يعلم ان هناك شعراء ملأوا بشعرهم دواوين عديدة ولكن على الرغم من ذلك فان شهرتهم لا تتعدى بعض الأفراد

ومن الجدير بالذكر ان المعارضات الشعريه تثرى النقد الادبى عن طريق تلك المقارنات اللطيفه بين المعارض والمعارض باظهار المتفوق والاشاره الى المخفق . وكل ذلك يجعل لدى الناقد مادة جمة وحصيلة واسعة كى يصدر احكامه ويوضح وجهة نظره والافصاح عن رأيه فى تلك المعارضات

٥٥٥٥٥٥٥٥

سادسا : اثر الاعضاء فى تكوين الاديب

مما فطن اليه ابن شهيد فى نقده علاقة الاعضاء بالقدرة العقلية والملكة الادبية فأشار الى ان هناك علامات جسدية بارزة يحكم على ذكاء الشخص وفطنته من خلالها فقال ـ معرضا بالمعلمين : (١) " يدركون بالطبيعة ويقصرون بالآلة وتقصيرهم بالآلة هو من طريق العلل الداخلة من فساد الآلة القابلة للروحانية ، والخادمة لآلات الفهم ، الباعثه لرقيق الدم فى الشريانات الى القلب ، وزيادة غلظ أعصاب الدماغ ، ونقصانها عن المقدار الطبيعى . ومما يعين على ذلك بالحدس وطريق الفراسة فساد الآلة الظاهرة كفرطحة الرأس وتسفيطه ، ونتوء القمحدوة ، والتواء الشدق ، وخزر العين ، وغلظ الأنف ، وانزواء الأرنبة . "

وهذه الاحكام تتعلق بعلم النفس وعلم وظائف الاعضاء لأن التجارب العلميه اثبتت ان هناك اتصالا وثيقا بين العقل والجسم وان اى تأثير على احدهما يؤثر على الآخر يقول احد علماء النفس : (٢) " يرجع الذكاء الى التكوين الجسمانى العام ، والى تكوين الغدد الصماء والجهاز العصبى بوجه خاص ، والى تكوين المخ والمراكز العصبيه العليا بوجه اخص ، ولذا يعرفه بعض العلماء بأنه " وظيفة الجهاز العصبى المركزى " فكلما قوى بناء ذلك الجهاز ، وترابطت أجزاؤه كان ذلك أدعى الى الذكاء ، ومن ثم كان الانسان أذكى انواع الحيوان ، لأنه اقواها أعصابا ، ولأن جهازه العصبى تتصل

---

(١) ابن بسام .(١/١) ص ٢٠٥ ـ ٢٠٦
(٢) حامد عبد القادر . دراسات فى علم النفس التعليمى " مطبعة النهضة . مصر ١٣٧٧ هـ ـ ١٩٥٧ م " ص ٣٣٠

اجزاؤه بعضها ببعض أشد اتصال . فوراثه الذكاء تأتى بطريق وراثة القوة الجسميه على العموم والقوة العصبيـة بوجـه خاص . "

ومما لاشك فيه ان الانسان اذا كانت به عاهـة من العاهات فانها تؤثـر على سلوكـه الاجتماعى وتزعزع ثقته فى نفسه مما يؤدى به الى الاحباط وعلى العكس من ذلك الانسان السوى الذى يقوى ثقته فى نفسه ويقدم على الاشياء بروح قابلـة لها مما يساعد على نجاحـه فى اكثر اموره يقول الدكتور مصطفى فهمى (١) : " ان أى خلل يصيب اجهزة الطفل المختلفـة ، يؤثـر على مدى ملاءمة هذه الاجهـزة للعمل مع بعضها من جهـة ، كما يؤثـر على مدى تدريب الطفل على التكيـف مع نفسه ، ومع العوامل الاجتماعية والثقافيـة ، والبيئيـة المختلفـة من جهـة اخـرى . "

وفيما يبدو ان ابن شهيد وفى لهذا المبدأ ومؤمن به اشـد الايمـان ، فقد عقد مقارنة لطيفـة بـين الذين لم يرزقوا الآلـه القابلة للبيان وبـين الحمار الذى يطلب منه الضرب على الأوتار وكلنا يعلم ان هذا مستحيل . فيقـول فى ذلك (٢) : " فهم يصرفون غرائبها فيما يجرى عندهم تصريف من لم يرزق آلـة الفهم ، ومن لم تكن له آلـة الصناعة ، مما هى مخصوصـة بها ، لا تقوم تلـك الصناعة الابتلك الآلـة ، فهو كالحمار لا يمكنه أن يتعلم صناعة ضـرب العود والطنبور ، لتوتـد رسغه ، واستدارة حافره ، ولاله بنان يجس بـه

---

(١) الدكتور مصطفى فهمى . الانسان وصحته النفسيه " مكتبة الانجلو المصرية ١٩٧١م " ص ١٣

(٢) ابن بسام ١/١ ص ٢٠٥

على دستبان . ولو جاز أن يكون حمار يغنى :

ما بال انجم هذا الليل حائرة * اضلت القصد أم ليست على فلك ؟

وشبهه ، من أجل أن له حنكا ولسانا وقصبة ورئة ، لما جاز أن يوقع بالمضراب على الأوتار ، ويتم بجس الأنامل ، ويرخى الوتر فى مجرى السبابة والبنصر ، فيلبلبل بنشيده ، ويولول فى ضرابه على بسيطه . "

وفى الواقع ان هذا الكلام لم يسبق اليه ابن شهيد من اى ناقد آخر مما يدل على عظمة هذه العبقرية التى لم تعط حقها من النقاد الذين تكلموا عنها . وهذا ما لاحظه الاستاذ احمد ضيف حين يقول (١) : " وهل نجد بين ادباء العرب . فى النقد الادبى هذا الطريق العلمى ؟ ان هذه لآراء ممتازة فى النقد الادبى العربى . وطريقة علمية تشبه ما حدث فى الأدب عند أهل اوروبا فى القرن التاسع عشر . وكان هذا يكون نموذجا للنقد الصحيح وطرقه العلمية التى تصل افكار الكاتب وآراءه بتكوينه العصبى وتركيبه الجسمى . ولكن واحدا من الادباء الذين تكلموا عن أبى عامر ابن شهيد لم يذكروا له غير " شعره الرقيق ، وأسلوبه الرشيق ، ومجونه الكثير وأدبه الوفير .. " الخ . ان ابن شهيد من افذاذ الادباء والمفكرين الذين أنجبتهم حركة العقول والادراك فى الاندلس . "

ويكفينا فخرا أن بعض نظريات ابن شهيد التى اطلقها قبل الف عام يأتى العلم الحديث فيثبتها فى هذا القرن يقول الاستاذ يعقوب زكى (٢) : " وليس

(١) الاستاذ احمد ضيف . ص ٥٩

(٢) الاستاذ يعقوب زكى . مقدمة الديوان ص ٦٧

من شك فى أن نظرياته كانت نظريات ثورية ، متقدمة جدا عن آراء أى عصر قبل هذا القرن العشرين ."

وايما ن ابن شهيد بهذا المبدأ جعله يحط من شأن الجاحظ ويعتقد ان الذى قعد به عن المناصب السياسة ورتبة الكتابة عند الخلفاء هو جحوظ عينيه قال : " او يكون افراط جحوظ عينيه قعد به عنها ، كما قصر بى انا فيها ثقل سمعى ، وبابى القاسم ورم انفه اذ لابد للملك من كاتب مقبول الصورة تقع عليها عينه واذن زكيه تسمع منه حسه ، وأنف نقى لاتذم انفاسه عند مقاربته له"(١)

وفى الواقع ان حرمان الجاحظ من المناصب السياسية لا يقلل من مكانته العلمية لا ن العالم لا يقاس بعلو مرتبته ، وانما يقاس بعلمه ومعرفته بل ان بعض العلماء يحاول ان يبتعد عن الملوك وشؤون الدولة كى ينصرف الى العلم والتحصيل . وكلام ابن شهيد هنا يعطيه(٢) " صورة غير مقبولة ، فالأدب والعلم عنده من وسائل العيش والحظوة عند الملوك ، ومقدار نجاح الكاتب فى دنياه يكون فضله ، وهذا خطأ مبين "(٣) .

(١) ابن بسام ١/١ ص ٢٠٨

(٢) مما تجدر الاشاره اليه ان ابن شهيد اتهم الجاحظ بأنه بخيل بعلمه شحيح بمعرفته فقال عن كتابه " البيا ن والتبيين " ولو كشف فيه عن وجه التعليم ، وصور كيفيه التدرج لأرى كيف وضع الكلام ، وتزيين البيان ، وكيف التوصل الى حسن الابتداء ، وتوصيل اللفظ بعد الانتهاء ، وابدى لهم عن تدبير المقاطع والمطالع ، فانها معادن الصنعة ، ومواضع مفاتح الطريقة ، ولكنه استمسك بفا ئدته ، وضن بما عنده ، غيرة على العلم ، وشحا بثمرة الفهم ، وعرف أن النفع كثير ، والشاكر قليل ، فلم يفد بما أوضح من أمر البيان فائدة غير اهله ، ومن كرع فى حوضه ، واستاف من نده . واما ان يخرج متدئا أو يعلم جاهلا فلا البته . " ابن بسام ١/١ ص ١٩٨

ولاندرى على اى اساس اعتمد ابن شهيد فى حكمه هذا لأن كتاب (البيا ن والتبيين " من خيرة الكتب العربية القديمه ومن اكثرها فائدة وقد شهد له كبار العلماء والادباء بأنه مؤلف جليل ومفيد ، كذلك ان الجاحظ اشتهر بالاستطراد وهو الخروج عن موضوعه الذى يتكلم فيه الى موضوع آخر له اتصال به وفى هذا دليل على ان الرجل لم يكن بخيلا او شحيحا . ولم يقل احد بذلك الا ابن شهيد .

(٣) زكي مبارك جـ٢ ، ص ٧٠

سابعا : هيئة الاديب

وتنبه ابن شهيد ايضا الى تأثير مظهر الاديب وشخصيته على المستمعين فقال منتقدا ابا القاسم ابن الافليلى (١) : " وهو يرى ان بعض صبياننا قد اقلقوه حين قالوا : ليست مشيته مشية اديب ، ولا وجهه وجه اريب ، ولا جلسته جلسة عالم ، ولا انفه أنف كاتب ، ولا نغمته نغمة شاعر . وحكوا أنه ، اذا مشى الخيزلى ، وتقدم قليلا ثم رجع القهقرى ، والقصبة فى يده ، والخرج على عاتقه ، احذق الناس فى اخراج لعبة اليهودى ، فأقلقوه بما يسمع ، فكيف لو عضته أنياب غير مغلولة ، وخدشته اظافر غير مقلمه ؟ " .

وهذا القول على جانب كبير من الصحة لأن الانسان اذا كان يملك شخصية قوية فان اثرها يظهر على هيئته وتصرفاته من اقوال او افعال فالشخص الذى تكون جلسته غير عاديه او مشيته ليست طبيعية يكون مثارا للضحك والاستهتار مما يجعل الاصغاء اليه قليلا احتقارا له ، وهذه اشياء نلمسها فى حياتنا اليومية التى نعيشها وتثبتها ايضا التجارب العلمية .

ويؤكد ابن شهيد ذلك الرأى ضمن حديثه عن الكاتب وما يجب ان يتوفر فيه يقول (٢) : " ان يكون طيب الرائحة ، سليم الحواس ، نقى الثوب ، ولا يكون وسخ الضرس ، مقلب الشفة ، مكحل الاظفور ، وضر الطوق . "

---

(١) ابن بسام ١/١ ص ٢٠٧

(٢) " " ١/١ ص ٢٠٨

وهذه اللفتة الجميلة تعد منقبة من مناقب ابن شهيد تدل على دقة ملاحظته وثقب نظره . يقول الدكتور احمد هيكل (١) : " ومن احسن ما اثر عن ابن شهيد كذلك مما يتصل بالنقد ـ وان كان متعلقا بشخصية الأديب لا بعمله الأدبى ـ حديثه عما يجب ان تكون عليه هيئة الأديب المتصل بحكم عمله بالآخرين ووجوب كونه سليما حسن الهيئة نظيفا ، لأن عدم ذلك قد ينفر منه ويسئ الى أدبه تبعا لذلك.

وابن شهيد وان خص بهذا الكتاب المشتغلين مع الحكام ، فهو ينفع المشبهين لهم من المتصلين بالناس " .

ولكن فى الحقيقه ان هذا الرأى ليس قاعدة مطرده فى جميع الحالات فقد نرى اديبا دميما اورث الهيئة ومع ذلك يشد انظار المستمعين ببيانه وبلاغته وهذا ما قال به سهل بن هارون عندما يقول (٢) : " لو أن رجلين خطبا أو تحدثا او احتجا أو وصفا وكان احدهما جميلا جليلا بهيا ، ولباسا نبيلا ، وذا حسب شريفا ، وكان الآخر قليلا قميئا ، وباذ الهيئة دميما ، وخامل الذكر مجهولا ثم كان كلامهما فى مقدار واحد من البلاغة ، وفى وزن واحد من الصواب لتصدع عنهما الجمع وعامتهم تقضى للقليل الدميم على النبيل الجسيم ، وللباذ الهيئة على ذى الهيئة ، ولشغلهم التعجب منه عن مساواة صاحبه به ، ولصار التعجب منه سببا للعجب به ، ولصار الاكثار فى شأنه علة للاكثار فى مدحه ، لأن النفوس كانت له احقر ، ومن بيانه أيأس ، ومن حسده ابعد . "
ومن الملاحظ ان ابن شهيد يتكلم بلسان عصره الذى طغى فيه الاعتناء بالشكليات والاهتمام بالمظاهر كما اتضح ذلك فى زخرفة المبانى وتنميق المجالس والتفنن فى ارتداء الملابس .

---

(١) الدكتور احمد هيكل ص ٣٩٨
(٢) الجاحظ . البيان والتبيين ج ١ ص ٨٩.

الخاتمــــــــه
" استنتــــاج وخلاصـــة "

تبين لنا ان ابن شهيد شخصية نقدية مهمة وجديرة بالبحث والدراسة لأنــه من الرواد الأوائل الذين استطاعوا ان يكونوا للأندلس مناهج نقديه متميزه وان كـان لم يستطع بحال من الاحوال ان يستغنى عن آراء النقاد المشارقه بل انه خـاض فى اكثر المواضيع التى تكلموا فيها ولكنه مع ذلك يعد ناقدا فريدا من نوعه فقـد اطلق بعض النظريات الجديده والجديرة بالاهتمام .

وقد تناولت فى هذه الدراسة ترجمة ابن شهيد ونقده فمهدت لذلك بحالـة النقد الادبى فى الاندلس قبل ابن شهيد موضحا انه لم يكن هناك نقاد يستحقـون الذكر فى تلك الفترة وان النقد كان يعتمد على الذوق ويلتفت الى الجزئيـات كالاهتمام بالنحو والصرف ووضع الكلمة فى موضعها المناسب وسرقة بعض الابيـات الشعريه وغير ذلك . حتى جاء ابن شهيد فدرس النقد دراسة منهجية منظمـة فكانت اقواله بمثابة البذره الأولى للنقد الأدبى فى الاندلس وان كان الذى ضـاع من نقد ابن شهيد اكثر بكثير مما بين ايدينا الآن بل ان مؤلفه " حانوت عطـار "(١) يعد مؤلفا نقديا بحتا .

ثم تحدثت عن حياة ابن شهيد وما لها من اثر واضح على ادبه ونقده وسلوكـه الاجتماعى .

---

(١) راجع آثار ابن شهيد ص ٣٤ من هذه الرسالـه .

اما آثاره فقد فقد اكثرها الا ما وجد مبعثرا فى المصادر الاندلسيه القديمة التى لحسن الحظ ان نجد بعض القضايا لم يستكمل الحديث عنها فتظل الفكره غامضة بعض الشيء .

وكان لابن شهيد مكانة علمية كبيرة فى نظر الادباء والنقاد قديما وحديثا فقد اشادوا به واكثروا الثناء عليه ولانكاد نجد كتابا من كتب النقد الادبى فى الاندلس الا وجعل ابن شهيد فى مقدمة النقاد الذين يتحدث عنهم .

وكان للشعر نصيب وافر من نقد ابن شهيد فقد حدد موقفه من قضية اللفظ والمعنى فادرك الصورة الادبية التى تعد النتيجة النهائيه لكل من اللفظ والمعنى وبين انهما يشتركان فى ابرازها وان اى تأثير على احدهما يؤثر على كمال تلك الصورة . ونوه كذلك بنظرية النظم مما يدل على انها كانت متبلورة فى ذهنه وانه كان مستوعبا لها . وبين كذلك ان المعانى لا تخدع الناقد بقدر ما تخدعه الالفاظ ونبهنا ضحذره من ذلك بالاحتراس من حلاوتها والانخداع ببريقها كى تكون احكامه موضوعية وصحيحة .

كما تنبه ابن شهيد الى السرقات الشعريه وهو موضوع قديم طرقه كثير من النقاد فنصح الشاعر بالاقلاع عن سرقة المعانى التى احسن فيها قائلها لأنه لا يضمن تفوقه على ذلك القائل او المبدع ، واذا كان ولابد فعليه ان يتخذ نوعا من الحيلة والاخفاء وهو تغيير العروض حتى تختلف الموسيقى فلا تظهر السرقة . واشار كذلك الى الزيادة ومبلغ الحسن فيها مستشهدا ببعض الابيات الشعريه لشعراء من المشرق جاهليين وعباسيين مثل الافوه الاودى والنابغة الذبيانى وابى نواس

وصريع الغوانى وابى تمام والمتنبى فتحدث عن شعرهم فى الطير ومن الذى احسن منهم وبين وجه الاحسان فى ذلك .

كما تكلم ابن شهيد عن الطبع والصنعة ففهم الطبع كما فهمه الجاهليون وهو الاستعداد الفطرى دون اعادة النظر وكان يؤيد الصنعة المعتدلة التى تقبلها النفس فلا تكون خارجة عن حدود المعقول ولذلك انكر على ابى تمام اسرافه فى التجنيس وافراطه فى ذلك .

وتنبه ابن شهيد كذلك الى تأثير البيئة على الاديب واهميتها فى تكوينه الخلقى واثر ذلك على انتاجه الادبى ضاربا امثلة ببعض الملوك والامراء الذين كانوا يذهبون بابنائهم الى البادية كى تحتد افئدتهم وتمتد السنتهم . وكان لابن شهيد رأى فى الحرب يختلف عن رأى ابن سلام فيها الذى قال به فى كتابه الرائد " طبقات فحول الشعراء " . وذلك أن كل واحد منهما نظر الى الحرب من زاويته الخاصه . فابن شهيد يرى انها تقضى على الادب والادباء وتقف فى وجه الحركة العلمية ولكنه يتحدث عن حربهم التى اشتعلت فى قرطبه . اما ابن سلام فانه يرى أن الشعر يكثر مع الحروب لأنه منشط لطبيعة تلك الحروب التى يتحدث عنها .

كما حدد ابن شهيد موقفه من النحو فبين انه وسيلة تؤدى الى سلامة التركيب الذى يتم به البيان فانكر على معلمى قرطبه جعلهم النحو غاية فى ذاته واهتمامهم به اهتماما انساهم الغرض الاساسى من وضعه اصلا مستشهدا ببعض اقوال الجاحظ فى ذلك المجال .

كما نوه ابن شهيد ببعض النصائح التى تفيد الناقد فى حكمه على النص الادبى بأن ينظر اولا الى الألفاظ والمعانى لأنهما الحجر الاساس لكل قصيده ثم يفتش بعد ذلك عن البديع فيكون اكثر حرصا فى اصدار الأحكام النقديه ويجب عليه ان يلتفت الى ثقافة الشاعر واقتداره على اللغة واقتناص الالفاظ ٠

وكان لابن شهيد موقف واضح من البيان فهو يرى ان الموهبة الفطرية هى الاساس فيه ثم بعد ذلك تنمى وتصقل بالتدريب والمثابرة حتى تصبح قادرة على العطاء ٠ وقسم ابن شهيد اصحاب البيان الى ثلاث طبقات : من لديه الموهبه ولكنه قصير الباع ، ومن لديه الموهبة وطول النفس ، وقليل الموهبة ولكن لديه الذكاء الذى يغطى به على ذلك النقص ٠ وهذا التقسيم جديد كل الجدة على النقد العربى وفضله يرجع اليه ٠

وفطن ابن شهيد كذلك الى " مراعاة مقتضى الحال " فنظر اليه نظره نفسية اضافة الى نظرة العرب اليه بالتفريق بين المستمعين حسب قدرتهم على الفهم فبين ان البلاغة ضرب من السياسة النفسية ٠

وقد وقف ابن شهيد من السجع موقفا معتدلا فبين ان المستحب منه هو ما كان له موضع من القلب ومكان من النفس وهو الذى يخلو من التكلف والتعسف ٠ اما ما يشبه سجع الكهان فهو المكروه والذى لا تقبله النفس البشرية ٠

وكانت عند ابن شهيد نزعة تحرريه انكر فيها على الشاعر التزامه بالمقدمة الطلليه حتى ان بعضهم ينسى الغرض الاساسى فى القصيده ويولى هذه المقدمة

جل اهتمامه • كذلك انه عبر عن وحدة العمل الادبى تعبيرا دقيقا فكان من اقرب النقاد الأوائل الى استيعاب هذه القضيه •

وكان ابن شهيد رائدا لبعض القضايا النقديه ومتفردا برأيه فيها • من ذلك موقفه من شياطين الشعراء والنظر اليها نظرة دعابة ومرح فقد ساوى بين الشعراء والكتاب فى ذلك بل انه اشرك معهم المشايخ والكبراء مما يدل على ان القضية عنده اخذت جانب الهزل اكثر من كونها قضيه جديه •

كما تحدث ابن شهيد عن علم الجمال فبين انه سر عن اسرار النفس الانسانيه يصعب تحليله وتقييده بقواعد معينه مستشهدا بجمال بعض القصائد واقبال النفس عليها دون ان يكون هناك تحليل بين لسر ذلك الجمال •

كما اشار الى ان اسلوب الرجل وطريقته تدل على شخصيته لأن الأديب فى بداية الطريق يكون فى مرحلة التقليد حتى يصبح له طريقته الخاصه به واسلوبه الذى يعرف به بين الناس وهذه القضيه ترددت كثيرا فى كتب النقد الاوروبى •

ورأى ابن شهيد ان المعارضة الشعريه تعد نوعا من التفوق لأن الشاعر المجيد هو الذى يعارض قصائد الشعراء السابقين ويناقضهم وهذا الرأى جديد على النقد الادبى ولم يقل به احد غير ابن شهيد ولااعتقد ان الحظ حالفه كثيرا فيه لأن المعارضه نوع من التقليد فمهما علت مكانته فهو تقليد فليس من الضروره ان يكون خيرا من الابداع •

كما اشار ابن شهيد الى هيئة الاديب وما يجب ان يكون عليه من مظهر حتى لا يكون مجالا للتندر والاستهتار من المستمعين • وفطن كذلك الى علاقة الاعضاء الجسميه بالقدرة العقلية فبين ان هناك علامات جسدية واضحة يعرف من خلالها مدى ذكاء الشخص وفطنته ففرطحة الرأس وتسفيطه والتواء الشدق وخزر العين وغلظ الأنف وانزواء الأرنبه غالبا ما تدل على الغباء والغفله وقد اثبتت التجارب العلمية شيئا من ذلك وان كان ابن شهيد لم يبن اقواله هذه على اساس علمي وانما كان نتيجة البصيرة النافذة والذكاء الخارق •

فهرس المصادر والمراجـــع

— ابن الابار . ابو عبدالله محمد بن عبدالله القضاعى . الحلـه السيراء " القاهرة ١٩٦٣ م ط ١ " تحقيق حسين مؤنس .

— ابن الاثير . ضياء الدين ابو الفتح نصر الله محمد بن محمد بن عبد الكريم الموصلى الشافعى . المثل السائر فى ادب الكاتب والشاعر " القاهره ١٣٥٤هـ — ١٩٣٥م"

— د : احسان عباس

١— تاريخ الادب الاندلسى عصر سيادة قرطبه " بيروت ١٩٧٥م"

٢— تاريخ النقد الادبى عند العرب " بيروت ١٣٩١ هـ "

— د : احمد امين . النقد الادبى " بيروت ١٣٨٧هـ — ١٩٦٧م"

— احمد ضيف . بلاغة العرب فى الأندلس " مصر ١٣٤٢هـ — ١٩٢٤م" .

— د : احمد هيكل . الادب الاندلسى " دار المعارف بمصر ١٩٧١م"

— الاصفهانى ابو الفرج على بن الحسين الاغانى " دار الثقافة بيروت ١٩٥٨ م" تحقيق عبد الستار فراج .

— الاعشى ميمون بن قيس . الديوان " بيروت ١٩٦٦م"

— الآمدى . ابو القاسم الحسن بن بشر . الموازنه بين الطائيين " مصـــــــــــر ١٣٨٠ هـ — ١٩٦١م "

— امرؤ القيس . ديوان امرئ القيس بن حجر " القاهره الطبعه الخامسه بدون تاريـخ " حسن السندوبى .

— الباقلانى . ابو بكر بن الطيب . اعجاز القرآن " دار المعارف بمصر ١٩٧٢م" تحقيـــق سيد صقـــر .

— د : بدوى طبانه . البيان العربى " بيروت ١٣٩٢ هـ — ١٩٧٢ م" .

— بروكلمان . تاريخ الادب العربى " دار المعارف بمصر ١٩٧٥م" ترجمة د : رمضـــان عبد التواب .

— ابن بسام • ابو الحسن على بن بسام الشنتريني • الذخيرة فى محاسن اهل الجزيره " القاهرة ١٣٥٨ هـ — ١٩٣٩م "

— ابن بشكوال • ابو القاسم خلف بن عبد الملك • الصله " الدار المصريه ١٩٦٦م "

— بطرس البستاني :

١ — رسالة التوابع والزوابع " بيروت ١٣٨٧هـ — ١٩٦٧م "

٢ — دائرة المعارف " طهران بدون تاريخ "

— بنت الشاطئ • عائشه عبد الرحمن • قيم جديده للادب العربى " مصر ١٩٦١م "

— البير حبيب مطلق • الحركه اللغويـة فى الاندلس " بيروت ١٩٦٧م "

— ابو تمام • حبيب بن اوس • الديوان بشرح التبريزى " دار المعارف بمصر ١٩٧٠م " تحقيق : محمد عبده عزام •

— الثعالبى • ابو منصور عبد الملك بن محمد • يتيمة الدهر " مصر ١٣٧٥هـ — ١٩٥٦م " تحقيق : محى الدين عبد الحميد •

— الجاحظ • ابو عثمان عمرو بن بحر

١ — البيان والتبيين " مصر ١٣٩٥هـ — ١٩٧٥م " تحقيق : عبد السلام هارون •

٢ — الحيوان " القاهره ١٣٨٥ هـ ١٩٦٥ م " تحقيق : عبد السلام هارون •

— الجرجانى • عبد القاهر

١ — اسرار البلاغه " مصر ١٣٤٤هـ "

٢ — دلائل الاعجاز " مصر ١٣٦٧هـ "

— ابن جرير الطبري : تاريخ الطبري . دار المعارف ١٩٧١م تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم

— د : جودت الركابى فى الادب الاندلسى " دار المعارف بمصر ١٩٧٠م "

— حاجى خليفه • كشف الظنون " بغداد بدون تاريخ •

— حامد عبد القادر • دراسات فى علم النفس التعليمى " مصر ١٣٧٧ هـ — ١٩٥٧م "

— ابن حزم • ابو محمد على بن احمد بن سعيد بن حزم

١ — طوق الحمامة " مصر ١٣٨٦ هـ — ١٩٦٧م " تحقيق الاستاذ حسن كامل صرفى •

٢ــ الفصل في الملل والاهواء والنحل " المطبعة الادبيــة ١٣٢٠ هـ"

ــ حسان بن ثابت • الديوان " بيروت ١٩٧٤ م " تحقيق د : وليد عرفات •

ــ د : حسين عطوان • مقدمة القصيدة العربيه " دار المعارف بمصر ١٩٧٤م "

ــ الحميدى • ابوعبدالله محمد بن ابى نصر فتوح بن عبدالله الازدى • جـــذوة المقتبس " مصر ١٩٦٦م "

ــ ابن حيان القرطبى • ابو مروان حيان بن خلف بن حيان : المقتبس " بيـــروت ١٣٩٣ هــ ١٩٧٣م " تحقيق د : محمود على مكى •

ــ الحميرى • ابو الوليد اسماعيل بن عامر • البديع فى وصف الربيع " الرباط ١٩٤٠م ــ ١٣٥٩هـ "

ــ ابن خاقان • ابو نصر الفتح بن خاقان بن محمد • مطمح الانفس " قسطنطينيه ــ ١٣٠٢ هـ "

ــ ابن خلدون • عبدالرحمن بن محمد

١ــ كتاب العبر وديوان المبتدأ أو الخبر " لبنان ١٩٥٨ م "

٢ــ مقدمة ابن خلدون " بيروت الطبعة الرابعة بدون تاريخ "

ــ ابن خلكان • شمس الدين احمد بن ابراهيم • وفيات الاعيان " مطبعة السعـــادة ١٣٦٧هـ ــ ١٩٤٨م " تحقيق محى الدين عبدالحميد •

ــ ابو داود • سنن ابى داود " مصر ١٣٧١ هـ ــ ١٩٥١م " •

ــ ابن دحيه • ابو الخطاب عمر بن حسن • المطرب من اشعار اهل المغرب " بيروت ١٣٧٤ هـ ــ ١٩٥٥ م " تحقيق ابراهيم الابيارى • د : حامد عبدالمجيـــد • د : احمد احمد بدوى •

ــ الرازى • محمد بن ابى بكر بن عبدالقادر " مختار الصحاح " السعوديه الطائـف ١٣٩٠ هـ ــ ١٩٧١م "

ــ الزبيدى • ابو بكر محمد بن الحسن • طبقات النحويين واللغويين " القاهرة ١٩٥٤ " تحقيق محمد ابو الفضـــل ابراهيم •

ـ الزركلى • خير الدين • الاعلام " بيروت ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩ م "

ـ د : زكى مبارك • النثر الفنى فى القرن الرابع الهجرى " بيروت ١٩٧٥م "

ـ ابن سعيد • على بن موسى بن سعيد • المغرب فى حلى المغرب " دار المعارف بمصر ١٩٦٤ م " تحقيق د : شوقى ضيف•

ـ ابن سلام • محمد بن سلام الجمحى • طبقات فحول الشعراء " القاهرة ١٩٧٤م" تحقيق محمود شاكر • ـ سيد قطب• النقد الادبى " بيروت بدون تاريخ •

ـ شارل بلات • ديوان ابن شهيد " جمع " " بيروت ١٩٦٣ م " •

ـ شكيب ارسلان • الحلل السندسيه " بيروت ١٣٥٨ هـ "

ـ د : شوقى ضيف

١ـ ابن زيدون " دار المعارف بمصر الطبعه الثالثه "

٢ـ البلاغه تطور وتاريخ "دار المعارف بمصر الطبعة الثانيه "

٣ـ العصر الجاهلى " دار المعارف بمصر ١٩٦١ م ("

٤ـ العصر العباسى " دار المعارف بمصر ١٩٦٥م"

٥ـ الفن ومذاهبه فى النثر العربى " دار المعارف بمصر • "

ـ صريع الغوانى • مسلم بن الوليد • الديوان " دار المعارف بمصر ١٩٧٠م" تحقيق د : سامى الدهان •

ـ الصفدى • صلاح الدين خليل بن ايبك ـ الوافى بالوفيات " بيروت بدون تاريخ " تحقيق ابراهيم الابيارى وغيره•

ـ الضبى • احمد بن يحى بن احمد بن عميرة الضبى • بغية الملتمس فى تاريخ رجال اهل الاندلس " مدريد ١٨٨٤م " •

ـ ابن طباطبا • ابو الحسن محمد بن أحمد العلوى • عيار الشعر " القاهرة١٩٥٦م "

ـ طرفه بن العبد • الديوان " بيروت ١٣٨٠ هـ ـ ١٩٦١م " •

ـ د : طه حسين • حديث الاربعاء " دار المعارف بمصر ١٩٧٤م ط ١١ "

— عبدالرحمن الباشا . على بن الجهم حياته وشعره " دار المعارف بمصر "

— عبدالواحد المراكشى . المعجب فى تلخيص أخبار المغرب " القاهرة ١٣٨٣هـ — ١٩٦٣م " تحقيق . الاستاذ محمد سعيد العريان .

— ابن عذارى المراكشى . البيان المغرب فى اخبار الاندلس والمغرب " دارالثقافه بيروت " تحقيق ج . س . كولان و ا . ليفى بروفنسال

— د : عز الدين اسماعيل .

١ـ الادب وفنونه " دار الفكر العربى ١٩٧٣م "

٢ـ الاسس الجميلة فى النقد العربى " دار الفكر العربى ١٩٧٤م "

— العسكرى . ابو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل — الصناعتين " مصر — تحقيق على محمد البجاوى ومحمد ابو الفضل ابراهيم .

— العقاد . عباس محمود . ابونواس الحسن بن هانئ مطبعة الرسالة .

— عمر بن ابى ربيعة . الديوان " بيروت ١٣٨٥ هـ ١٩٦٦م "

— على بن ظافر الازدى . بدائع البداهة " القاهرة ١٩٧٠م " تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم .

— القاضى الجرجانى . على بن عبدالعزيز . الوساطه بين المتنبى وخصومه " مصر ١٣٧٠ هـ — ١٩٥١م "

— ابن قتيبه . عبدالله بن مسلم الشعر والشعراء " مصر ١٩٦٦م "

— القرشى . ابو زيد محمد بن ابى الخطاب . جمهرة اشعار العرب " دار نهضة مصر . القاهره الطبعة الاولى " تحقيق . على محمد البجاوى .

— القيروانى . ابوعلى الحسن بن رشيق . العمده " مصر ١٣٧٤ هـ — ١٩٥٥م " تحقيق محى الدين عبدالحميد .

— كثير عزه بن عبدالرحمن . الديوان " بيروت ١٣٩١هـ — ١٩٧١م " جمعه وشرحه د : احسان عباس .

— الكلاعى . ابو القاسم محمد بن عبدالغفور الاشبيلى . احكام صنعة الكلام " بيروت ١٩٦٦م " تحقيق د : محمد رضوان الدايه .

- لا في بروفنصال . صفة جزيرة الاندلس منتخبه من الروض المعطار للحميرى "القاهرة ١٩٣٧م".
- المتنبي . احمد بن الحسين . الديوان شرح البرقوقي "دار الكتاب العربي بيروت بدون تاريخ .
- د : محمد حسين عبدالله . مقدمة في النقد الادبي "الكويت ١٣٩٥هـ ٧٥م"
- د : محمد رضوان الدايه تاريخ النقد الادبي في الاندلس" بيروت ١٣٨٨هـ — ١٩٦٨م".
- محمد عبدالله عنان
  ١— الآثار الاندلسيه الباقية " مصر ١٣٨١ — ١٩٦١ م".
  ٢— دولة الاسلام في الأندلس " القاهره ١٣٨٩ هـ — ١٩٦٩ م".
- د : محمد عبدالمنعم خفاجي
  ١— الحياة الأدبية " طبع سنة ١٩٤٩ م"
  ٢— قصة الأدب في الاندلس " بيروت ١٩٦٢م"
- محمد كرد علي . امراء البيان "بيروت ١٣٨٨ هـ — ١٩٦٩م".
- د : محمد مندور " النقد المنهجي عند العرب " نهضة مصر القاهرة ١٩٧٢م"
- محي الدين بن العربي " محاضرة الابرار ومسامرة الاخيار " مصر ١٣٢٤هـ"
- المرزباني . ابو عبدالله محمد بن عمران " الموشح " دار نهضة مصر ١٩٦٥م" تحقيق علي محمد البجاوي .
- المرزوقي . ابو علي احمد بن محمد بن الحسن . شرح ديوان الحماسه " ١٣٧١ هـ — ١٩٥١م"
- د : مصطفى فهمي . الانسان وصحته النفسيه " الانجلو المصريه ١٩٧١م"
- المقرى . احمد بن محمد . نفح الطيب " بيروت ١٣٨٨ هـ — ١٩٦٨ م " تحقيق : احسان عباس.
- ابن منظور . ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم . لسان العرب" الدار المصريه للتأليف بدون تاريخ .

— النابغـه . زياد بن معاويه الذبياني . الديوان " دار الفكر ١٣٨٨ هـ — ١٩٦٨ م " تحقيق شكرى فيصل .

— ابو نواس . الحسن بن هانئ . الديوان " دار الكتاب العربى ببيروت بدون تاريخ " تحقيق احمد عبدالمجيـد الغزالى .

— د : هلال . محمد غنيمى . النقد الأدبى الحديث " مصر ١٩٧١م "

— ياقوت الحموى — ياقوت بن عبدالله الرومـى الحموى .

١ــ معجـم البلدان " بيـروت ١٣٧٦هـ — ١٩٥٧ م "

٢ــ معجـم الأدباء " عيسى البابى الحلبى مصر بدون تاريخ . "

— يعقوب زكـى . ديوان ابن شهيد " دار الكتاب العربى " القاهره بدون تاريخ .

———

"""

" تصويبـــــات "

الصفحة	السطر		الخطأ	الصواب
٣	١٣		ابن	بن
٨	٩		أتشور	أتتمور
١٠	٧		تفشى	تفشى
١٢	٧		موضوع	موضع
١٤	٢		ابن رزاح	بن رزاح
١٥	٦	هامش	يتيحة	يتيمة
٢٤	١٢		روجها	ووجها
٢٩	٧		تاور	تساور
٣١	١٠		جميمه	خيمه
٣٢	٨	هامش	قلبنا	قبلنا
٥٠	١	"	مرثيه	مرثية
٥٤	٣		جزم	حزم
٦٠	٨		حول	قبل
٦٧	٣		مبينيا	مبنيا
٦٧	٧		الدنوع	الدموع
٦٩	١		احسان	حسان
٧١	١٣		ساء	أساء
٧٣	٧		عقدا	عقد
٨٢	١٣		آخيا	آخى
٨٣	٣		للنسى	للمسى
٨٥	١٤		المخنل	الممنل
٩٧	٢	الهامش	تماونهم	تهاونهم
٩٧	٢	" "	فضيمهم	فصنيعهم
١٠٧	٧		يحفون	يحنون
١٠٨	٧		يكلل	يكل
١١١	٤		تدفنن	تدفن
١١٣	٤		استحالة	استمالة
١٢٠	٣		الطلبلية	الطللية
١٢١	١٥		الحبربة	المحبوبة

تابع .. تصويبـــــات ...

الصفحـــة	الســـطر	الخطـــأ	الصـــواب
١٢٧	٤	الشيحبـــا ن	الشـــيصبان
١٢٧	٨	الشـــيمبا	الشـــيصبان
١٣٠	٤	احســـن	احـــــن
١٤١	٨	يوضـمـــوا	يوضحـــــوا
١٤١	١٢	جميـــلا	جميـــلان
١٥٤	٢	النـــى	الـــذى
١٥٨	٤	ففرضحـــة	ففرطحـــة
١٦٣	٨	الجميلـــة	الجماليـــة